ليلى بنت الفقراء

ليلى مراد الصوت الوردي الشجي، الصافي، النقي، ليلى مراد الأداء الطبيعي، التلقائي، المنطلق، الحساس، ليلى مراد الاعتزال الوقور المبكر، المخلص، الزاهد، ليلى مراد الرحيل الهادئ، الصامت، المريح، المؤمن، ليلى مراد نسيج حي ونابض، كيان حاضر وغائب، فن أصيل وصادق مجد باقٍ وراسخ، ليلى مراد.. كاملة الأوصاف، ملكة القلوب سندريلا.. أمس.. واليوم.. وغدا.. ليلى مراد بنت آدم وحواء.. قصة الحب التي جمعت بين المطرب زكي مراد والست جميلة والدة ليلى مراد تشبه إلى حد كبير قصة آدم وحواء، فقد احتضنتهما جنة العشق المتبادل وتبددت هذه الأحلام بخروج آدم من الجنة على يد الحية التي أغوت أمنا حواء فراحت تصب في آذان أبينا آدم أن يأكل من ثمار شجرة التفاح متحديا إرادة الخالق الذي نهاه عن هذا الفعل بالذات، تاركا له الجنة بأكملها يأكل منها ما يشاء، فعل زكي مراد المثل متحديا واقع الحياة، ساخطا على وضعه، معلنا حالة تمرد قصوى.. دفع ثمنها غربة ووحشة ووحدة استمرت عشر سنوات عاشها بمفرده في نصف الكرة الأرضية، بينما على الجانب الآخر تعيش زوجته وأولاده الثمانية يعانون أشد المعاناة يتنفسون فقرا وعوزا وحاجة من طول غيبته. ولقصة زواج زكي مراد من الست جميلة حكاية من ألف ليلة وليلة، كان زكي مراد مطربا جميل الصوت جذاب الملامح وسيم الهيئة شديد الأناقة معتزا بنفسه ورسمه، محبا للحياة، وعاشقا لألوانها السبعة لدرجة الهوس، كان مثلًا لكل فناني عصره بوهيميا، متيما بالفن والموسيقى والنساء، شاهد الست جميلة لأول مرة في بيت أبيها إبراهيم أفندي الموظف بأحد البنوك الذي كان أيضا من عشاق الطرب والموسيقى والمغنواتية، وكان زكي مراد ذلك الشاب والعايق المعجباني، من هؤلاء الذين دخلوا بيت إبراهيم أفندي من منطلق اتحاد الذوق الفني والتقاء الهوايات، فالأول مطرب والثاني متذوق للطرب. من أول نظرة وأول همسة وأول دقة ملكت فؤاده، وصاحبها السهر هي الأخرى، ووقع كل منهما في غرام الآخر رومانتيكيا. اعترضت عليه عائلة جميلة فيما عدا والدها، وصممت الست جميلة وتمسكت بموقفها، وساعدها الأب على زواجها من زكي وقاطعتها الأسرة حتى الممات، وكانت أهم اعتراضات الأسرة على مهنة زكي مراد المغنواتي أنه فقير لايملك قوت يومه

فمن أين سيضمن لابنتهم حياة مستقرة مأمونة الجانب، ومع ذلك تعهد زكي أن يفعل المستحيل وربما يسافر إلى الخارج حتى يعود لجميلة بالأموال والمجوهرات التي تتمناها، وعاش زكي وجميلة في تبات ونبات وانجبا تسعة من الأولاد والبنات، وهناك في العباسية في منطقة الظاهر وتحديدا شارع الجنزوري، هذه المنطقة كان بها كثافة سكانية عالية من العائلات اليهودية في مناطق الظاهر والسكاكيني وأطراف العباسية، كانت العائلات اليهودية تنقسم إلى قسمين: يهود مصريين يتكلمون اللهجة المصرية وهم من مذهب القرائين والقسم الثاني يهود أخلاط يتكلمون العربية بلهجات شامية وأجنبية، بعضهم من أصول مجرية أو بولندية أو ألمانية يتبعون مذهب الربانيين.

عاش زكي وجميلة والأولاد في شقة مكونة من ثماني حجرات، وبدأ يفكر في تنمية موارده ومكاسبه لكي يوفر للأسرة التي كونها حياة رغدة ومرفهة، وفي هذا الوقت كانت شركات الأسطوانات قد بدأت تكثر وتتنافس على تسجيل أغاني مشاهير المطربين والمطربات، ونجح زكي مراد في أن يحصل على عدد من التوكيلات لشركات أسطوانات، وأقام لها حجرة خاصة للتسجيلات في بيته الواسع، وبدأ يجذب المطربين والمطربات الذين يزاملهم في أوساط الطرب والغناء، ومن هؤلاء كان المطرب عبد اللطيف البنا والشيخ زكريا أحمد ومنيرة المهدية وحامد مرسي وفتحية أحمد وحياة صبري.

والجدير بالذكر أن زكي مراد كان ينحدر من أسرة يهودية تعود جذورها إلى بلاد المغرب، فوالده موردخاي أو صولون كان من الحاخامات المتشددين، تزوج وأنجب ثمانية أطفال، وكان زكي ثالثهم وهاجر الأب تاركا المغرب بسبب الحرب واستقر مع أسرته في الإسكندرية حيث التقى زكي بجميلة لأول مرة .

ومن الإسكندرية انتقلت الأسرة بأكملها لتعيش في القاهرة بحي العباسية، وهذا بالطبع يفسر عقليته التجارية التي كانت تقيم وزنا للمال، وكانت تميل إلى المظاهر البراقة والمرفهة. هذا الرجل كان يجمع حوله بطانة كبيرة من الأصدقاء والمديرين لينفق عليهم ببذخ ويلتهم أكثر من ورائهم، وكان من بين هؤلاء أدباء ومثقفون عاشوا فترة النهضة المسرحية وازدهارها في مصر مثل الأديب محمد تيمور الذي كان من بين رواد مقهى الفن بشارع عماد الدين حيث يجتمع زكي مراد مع الأصدقاء عزيز عيد عبقري الإخراج المسرحي ومحمد التابعي عبقري النقد المسرحي وإبراهيم المصري وعبدالمجيد حلمي وفكري أباظة الذين كانوا من عشاق أعمال فرقة جورج أبيض ونجيب الريحاني ويوسف وهبي وعلي الكسار وأولاد عكاشة وأمين عطا الله وغيرها من الفرق المشهورة في ذلك الوقت، ومن واقع أحداث الثورة وغضبة

الشعب المصري ضد الاحتلال اقتبس الأديب محمد تيمور مسرحية شهيرة من المسرح الفرنسى وهي مسرحية «ذو اللحية الزرقاء»، وقام بتصويرها في أوبريت اختار بديع خيري لكتابة الأغاني وسيد درويش لتلحينها، ودفع نجيب الريحاني بالأوبريت للمخرج عزيز عيد الذي قرر أن يسند دور البطولة النسائية للسيدة روزاليوسف فأعطاها دور(خاشبار)، كما أعطى زكي مراد المطرب الشاب الذي يمتاز بحلاوة وطلاوة الصوت وجمال الطلعة وأناقة الملبس دور سيف الدين بينما أعطى الممثل القدير حسين رياض دور حاجي بابا.. وكانت هذه الفرصة بداية الانطلاقة الفنية للمطرب زكي مراد .

زكي مراد منافسًا للريحاني

نجحت رواية «العشرة الطيبة» نجاحا ساحقا، وذاع صيتها بين الفرق المسرحية منذ ليلة الافتتاح الأولى وتألق زكي مراد في دور سيف الدين أمام روزاليوسف غناءً وتمثيلا وأداءً وأصبح في يوم وليلة منافسا لكشكش بيه أو لنجيب الريحاني إلى حد أن أصبحت بينهما حرب معلنة.

ورغم حب جميلة الشديد لزوجها ولهفتها وغيرتها عليه كانت في قرارة نفسها تكره عمله الذي يأخذه منها في الصباح وهو يستقبل ويسجل أغنيات أشهر المطربين والمطربات داخل مكتبه الذي استأجره في البيت نفسه، كما يأخذه منها في المساء وهو يقوم بتمثيل دوره على مسرح الريحاني .

كان بيت الزوجية مليئا بأفراد العائلة بالجد والجدة والخالات والعمات والأطفال، فأول ما أنجبت الست جميلة كان ولدا أطلقت عليه اسم مراد ثم إبراهيم الذي مات وهو طفل، ثم جاءت ليلى مراد كبرى البنات، وأنجبت جميلة ولدا آخر أصرت على أن تطلق عليه اسم إبراهيم مرة أخرى، وبعده جاءت ملك ثم منير مراد الذي أصبح واحدا من ألمع ملحني الأغاني في الخمسينيات والستينيات وبعد فترة جاءت عزيزة ثم أسعد وتوفي هذان الطفلان لتأتي سميحة آخر العنقود .

ورغم نجاح أوبريت «العشرة الطيبة» توقفت بعد عام واحد من العرض. وترك عزيز عيد العمل كمخرج في فرقة الريحاني وانضم إلى الفرقة الجديدة التي كونها يوسف بك وهبي تحت اسم فرقة رمسيس، وانضمت إليه روزاليوسف كبطلة للفرقة رغم وجود كل من زينب صدقي وأمينة رزق، وعليه صار زكي مراد المطرب المشهور والممثل الأكثر شهرة عاطلا بدون عمل مسرحي ثابت بعد أن انفرط عقد فرقة الريحاني، وأصبح يعتمد على الحفلات

والأفراح التي يحييها في الملاهي أو بيوت الأسر الكريمة، ومع ذلك لم تنته سهرات السبت في بيت زكي مراد رغم ضيق ذات اليد، تلك السهرات التي كان يجتمع فيها خيرة الفنانين ويناقشون فيها التغير الجذري الذي هز أوساط الطرب والغناء في مصر، تلك الهزات العنيفة التي أحدثها المطرب الشاب محمد عبد الوهاب بصوته القوي المتمكن وموسيقاه الجديدة التي سحرت السامعين واختياره الدقيق لكلمات أغانيه وهو ما أدى إلى انصراف جمهور السميعة عن تلك الأغاني التي كانت تخاطب الغرائز وترضي السكارى في سهراتهم، ومنها على سبيل المثال «شِفّتِي بتاكلني أنا في عرضك خليها تسلم على خدك، وأخرى ارخي الستارة اللي في ريحنا لحسن جيرانا تجرحنا، ومن بعد العشا يحلى الهزار والفرفشة»، إلى أن وصلنا إلى «اوعى تكلمني بابا جاي ورايا، ياخد باله مني يزعل ويايا». وجاء محمد عبد الوهاب ليقلب الدنيا أو ليعدلها، وكان هذا مثار نقاش دائم بين داود حسني وزكريا أحمد والسنباطي مع صديقهم زكي مراد، وطبعا لم يكن زكي مراد راضيا عن هذا الجو المبتذل وكان من أشد المعجبين بعبد الوهاب وأكثرهم تشجيعا له لما أحدثه من تجديد وتطوير، ولكن مع الأسف كان زكي مراد منخرطا أو بمعنى أدق منغمسا في هذا الجو المبتذل رغما عنه، وكان يعبئ أسطوانات من هذه النوعية الرخيصة من الأغاني لسد حاجات الأسرة وطلباتها، خاصة بعد أن ترك المسرح وانحصرت آماله في البحث عن المال بأية وسيلة حتى ولو أدى الأمر إلى أن يضحي بأحلامه في الغناء والطرب.

كانت حياة زكي مراد عاصفة لا تهدأ، حياة كالموج لا تستقر على حال، ترتفع ذات يوم فإذا بالمال يأتي بلا حساب وتنتقل العائلة إلى شقة فاخرة هائلة ويلتحق الأبناء بأحسن المدارس، وتنحسر يوما آخر فتبحث العائلة عن مسكن صغير رخيص يتكدس فيه أفرادها في انتظار موجة أخرى تحملهم إلى وجه الدنيا من جديد، وعليه كتب على ليلى منذ نعومة أظافرها أن تترنح ما بين الحالتين فتصعد يوما؛ لتكون ليلى بنت الأغنياء وتهبط آخر لتعود ليلى بنت الفقراء، واستمرت حياة الأسرة يوما يأكلون الكباب وأياما لايجدون الخبز الحاف، فقد كان زكي فنانا بوهيميا يحمل في داخله جنون الفنان وهوسه. كان مولعا بفنه عاشقا له ويجري وراء أحلامه وطموحاته، وما أن ينجح حتى ينقلب الحال ويعود بشر هزيمة، وفجأة اختفى الأب، وكانت السيدة جميلة حاملا في أسعد أصغر الأولاد.

وكان قبل اختفائه قد قرر أن يقوم برحلة فنية غنائية إلى تونس والمغرب تعويضا عما لحق به في وطنه، وانتقلت الأسرة على أثر هذا العوز المادي إلى شقة صغيرة من حجرتين في حي السكاكيني بعد أن تدهور بهم الحال.

كان من المقرر أن تستمر هذه الرحلة أربعة أشهر فقط يعود بعدها زكي ومعه الخير لأسرته، فاستمرت أربع سنوات ونصف السنة، وعبر البحر تاركا تونس إلى فرنسا ومن فرنسا إلى الولايات المتحدة حيث كان يعيش شقيق له كان يحثه على اللحاق به وهو يمنيه بالخير والمال، فأهل المهجر من العرب في حاجة إلى مطرب يذكرهم بالأوطان البعيدة، وليس هناك أفضل من زكي مراد المطرب الذي حقق شهرة واسعة في مصر، ونجح زكي في البداية وبدأت إمداداته المادية تصل لأسرته كل شهر من الخارج، حيث كان يرسل المال للأسرة بلا حساب، وولد أسعد ثم عزيزة، وانتقلت الأسرة مرة أخرى إلى شقة أوسع تم فرشها بأفخر الأثاث لمدة ثلاث سنوات كاملة كان الجميع يعيشون خلالها في بحبوحة من العيش، ولكن زكي مراد لم يكن قانعا بهذا النجاح والمال، فقد كان يعيش في أعماقه حلم الثراء الطائل، مما دفعه إلى المضاربة في البورصة عن طريق شقيقه المقيم في نيويورك الذي أغراه بأن يلقي بكل ما ادخره وما كسبه في رحلاته الفنية في تونس والمغرب وفرنسا والأرجنتين ونيويورك في البورصة، وإذا بالخسارة تأتي على بساط الريح وفقد زكي كل مايملك في لمح البصر، وانقطعت الخطابات وبالتالي الإمدادات المالية ويموت الطفلان أسعد وعزيزة، وتسوء الأحوال ويتراكم إيجار البيت شهرا وراء شهر حتى أصبحت ليلى مراد الطفلة الصغيرة تتجنب لقاء صاحبة البيت وتكرهها؛ لأنها ما من مرة رأتها تلك المرأة على السلم في الطريق إلا وذكرتها بالإيجار المتأخر.

وجاء اليوم الذي قطع فيه التيار الكهربائي بعد أن أصبحت الأسرة لا تملك ثمن ما استهلكته من النور، وأمام شبح الفقر باعت جميلة أثاث المنزل قطعة بعد قطعة إلى أن أصبح البيت خاليا من الأثاث، والعائلة تعيش في غرفة واحدة بينما هناك 12 غرفة خالية من الأثاث والبشر مغلقة حتى إشعار آخر.

ليلى بنت المدارس

عندما بلغت ليلى مراد سن الرابعة أرسلتها الأسرة إلى مدرسة «سانت آن» بالسكاكيني قرب منزل الأسرة القديم، وفي تلك السن المبكرة تميزت ليلى بالصوت الحلو. وكانت تشترك مع زميلاتها من التلميذات في التراتيل التي تنشد في كنيسة المدرسة، وكان إنشاد هذه التراتيل جزءا مهما من الدراسة مهما كانت ديانة التلميذة، ولقي صوت ليلى بحلاوته اهتمام الراهبات فاعتمدن عليها في الإنشاد الفردي مما ساعد على نمو صوتها وتدريبه في اتجاه صحيح، وعندما تكرر رسوب ليلى في مادة الحساب، قرر والدها زكي مراد أن يخرجها من القسم الداخلي بالمدرسة لتذهب وتعود من المدرسة كل يوم، وبدأ يشرف على مذاكرتها في مادة الحساب الصعبة عليها.

وعندما استقر الحال بالأسرة حينما سافر الأب في رحلته الغنائية في بادئ الأمر انتقلت ليلى من مدرسة « سانت آن» والتحقت بمدرسة « نوتردام دي زابوتر» بشارع الجيش، ومرة أخرى أصبحت قائدة إنشاد في حصص الإنشاد في تراتيل الأحد بالمدرسة الجديدة، وكانت تجمع زميلاتها في الفسحة وبين الحصص حولها لكي تُغني لهن أغاني المطرب الشاب الجديد محمد عبد الوهاب والتي كانت تحفظها عن ظهر قلب على أن القدر كان – على مايبدو – يدخر لتلك الفتاة الرقيقة النحيلة ليلى مراد الكثير في حقيبته وكأنه يقول لها لقد انتهت أيام المرح والانطلاق وسوف تحل محلها سحابة من الحزن والألم ستستمر معكِ إلى نهاية عمرك حتى ولو صاحبك المجد والعز، وسيظل ذلك الشعور بالحاجة وعدم الاستقرار مصاحبا لك وملازما لك كظلك، وقد كان.

كانت ليلى ترقب مايحدث للأسرة من صعود وهبوط في صمت ودهشة، ولما كانت هي كبرى البنات فقد كان عليها أن تتحمل المسئولية خاصة بعد أن استقل الأخ الأكبر عن العائلة ووجد عملا وسكن في بيت مستقل، وخاض معركة الحياة بمفرده بعد أن قرر أن يرفع عن العائلة عبء وجوده وطعامه على الأقل، وأصبحت ليلى تذهب إلى المدرسة شهرا وتنقطع شهرا واستنفدت هي كل الحجج من مرض إلى سفر إلى كذبة الزواج من ابن عمها حتى تقتنع الراهبات اللاتي كن يذهبن إلى البيت للسؤال عنها، كما استنفدت كل حيل وأساليب

الراهبات لإعادة هذه الصبية ذات الصوت العذب الذي كان يترنم بالأناشيد في الكنيسة صباح كل أحد.

فجأة انتهى عهدها بالمدرسة وبدأت تبحث عن مهنة تتعلمها لسد حاجة الأسرة في غياب والدها، ووجدت ليلى الحل ذات يوم في مدرسة للتطريز غير بعيدة عن البيت، وكانت هذه المدرسة تعلم الفتيات أشغال الإبرة والكروشيه والبرودريه والأوبيسون والكنفاه ثم تعطي الفتاة إذا ما اجتازت فترة معينة للتمرين أجرا قدره سبعة قروش يوميا.

وفي هذه المدرسة انكبت ليلى على ماكينة الخياطة وأشغال الإبرة بلا كلل ووجدت في تلك الأشغال بحرا تغرق فيه همومها وأحلامها المبتورة، وسرعان ما مضت فترة التدريب وأصبحت ليلى تتقاضى سبعة قروش كل يوم، وبدأت تقتصد من قروشها القليلة ما مكنها من أن تدفع القسط الأول من ماكينة خياطة لأشغال البرودريه، وأصبحت تعود من المشغل لتنكب مرة أخرى على ماكينتها في البيت لتعمل وتعمل ولاتكف حتى أتقنت عملها، لتتحمل بكتفيها الصغيرتين عبء العائلة كلها، ويراودها بين الحين والآخر حلم العودة إلى المدرسة والتخلص من هذه الحياة الكئيبة التي يعيشون فيها جميعا على الكفاف لتفيق من أحلامها على مسئولياتها تجاه العائلة فتعود لتعمل ساعات طويلة دون أن تشعر بالتعب، وإذا بالأخبار تأتيهم عن قرب عودة رب الأسرة من رحلته الطويلة وهو خالي الوفاض، بل وهو مدين بثمن تذكرة العودة؛ لتتحطم نهائيا أحلام الأسرة بالثراء والهناء والراحة، فقد عاد الأب ليجد العائلة قد انتقلت إلى شقة صغيرة... عاد ليبحث لنفسه عن عمل فلا يجد، عاد ليجد الحال في مصر قد تغير كثيرا، فلقد مات سعد زغلول وخمدت الثورة تماما، ولم يعد هناك سيد درويش واختفت أسماء فنانين كبار ولمعت أسماء جديدة لم تكن موجودة، وأصبح الفن غير الفن والدنيا غير الدنيا، ولم يجد مكانته الفنية حيث نسي الناس مطربهم زكي مراد بعد غياب أربع سنوات ونصف، وانصرفوا عنه إلى مطربين آخرين لا يعرف أحدا منهم.

فى البداية كان الأمر صعبا للغاية بل ومؤلما بالنسبة لفنان مثل زكي مراد كان ذات يوم له اسم يتلألأ كالنور، وكان صعبا عليه أن يقبل التحاق ابنته وملاكه الحارس ليلى مراد بهذه المدرسة التي تعطى أجورا لبناتها وكان هذا الأمر يؤرقه، لهذا أصبح استمراره في منطقة السكاكيني التي تذكره بأمجاده القديمة محالا، فجمع أهل البيت وهاجر إلى منطقة حدائق القبة، وفي حدائق القبة بدأت الأمور تستقر بعض الشيء ولم يعد في البيت سوى إبراهيم وملك ومنير وسميحة وليلى والأب زكي والأم جميلة، وظل الأمر هكذا لشهور وشهور تمتد لسنوات فتتغلب ليلى مراد على أحزانها بالدندنة والغناء.

سيدة قطار الغناء

قالوا عن..

أم كلثوم: الصوت الألماسي

محمد عبد الوهاب: الصوت الذهبي.

فريد الأطرش: الصوت البلاتيني.

عبد العزيز محمود: الصوت النحاسي.

وقالوا عن ليلى مراد: الصوت الفضي .

لم تكن ليلى مراد صوتا جميلا فقط، وإنما إحساس جارف يجتاح كل شيء في طريقه، يتغلغل في النفوس فيبدد ظلمتها ورغم أنين الشجن الذي كان يغلف نبراته وكأنه آت من أقدم عاصمة للحزن إلا أنه كان يعرف كيف يشنف الأذن ويحرك القلوب ويحرض العقول على ترك الأمس وغزو اليوم، ومعانقة الغد، وظل هذا الصوت المفعم بالحيوية والصبا والبراءة الممزوجة برغبات عارمة لعشق الحياة يشدو للحب والخير والجمال، على مر أربعين عاما، حتى سمي العصر الذي خرجت منه ليلى مراد بالعصر الذهبي للأغنية العربية، وتربعت هي على عرشه ملكة متوجة إلى الآن لاتزال أغانيها تزداد مع الأيام بريقا ومع البعد قربا، فهناك أصوات تتجاوز الزمان والمكان والتاريخ والأشخاص لتفرض نفسها كسلطة وجدانية آسرة، وليلى مراد سيدة قطار الغناء من بين هؤلاء، فتعالوا معي نتصفح تاريخ النغم لتلك الحنجرة الفضية التي انطلق منها أكثر من 1200 أغنية صاغ ألحانها كبار الموسيقيين وقام بتأليف كلماتها مشاهير المؤلفين

مين يشتري الورد مني وأنا بنادي وأغني

عاد زكي مراد من رحلة الاغتراب التي قام بها لتحسين ظروفه وأحواله المادية خالي الوفاض، مهزوما يبحث عن مكانه القديم في الطرب والغناء فلم يجده، ومع ذلك يتمسك بالسهرات السبتية ـ نسبة إلى يوم السبت من كل أسبوع ـ في بيته، بحدائق القبة، ذلك اليوم الذي كان يجتمع فيه صفوة الموسيقيين والملحنين والمطربين من أمثال داود حسني ومحمد

القصبجي وسيد شطة ورياض السنباطي وزكريا أحمد؛ ليتناقشوا حول مصير المسرح الغنائي بعد رحيل سيد درويش والكساد الذي أصاب العالم وامتد إلى مصر والفن الذي أصبح غير الفن والدنيا التي أصبحت غير الدنيا، وتجلس ليلى الصغيرة بجوارهم صامتة.. هادئة.. خجولة لا تفعل شيئا سوى الإنصات لما يقولون، كانت هذه الليلة في بداية عام 1932، ولا أحد يدري من الذي صاح طالبا منها أن تُغني، وعليه فقد حملوها بحرص وأوقفوها فوق إحدى الموائد وأمسك أحمد صبيح بالعود وسألها: « تحبي تغني إيه ياليلى.. سمعينا صوتك».. فقالت بلا تردد: «ياجارة الوادي»، غنت ليلى فأبدعت وكانت دهشة الأب والأصدقاء شديدة بسبب ذلك الاتقان الذي أدت به ليلى الأغنية، وزادت دهشتهم عندما ألحوا عليها مرة أخرى فغنت أحد أدوار عبد الوهاب وهو دور «ياما بنيت قصر الأماني»، كما غنت لأم كلثوم «آراك عصي الدمع» فإذا برؤوس الحاضرين تتمايل على نغمات حنجرتها فتعلو صيحات الإعجاب والاستحسان أكثر فأكثر، وبدا الأمر لزكي مراد وكأنه حلم، فكيف لتلك «المفعوصة هزيلة الجسد نحيلة القوام أن تتقن اللحن بهذه الحرفية، وهو أمر يحتاج إلى مقدرة ومران وتدريب؟»، ووسط التهاني التي تلقاها زكي مراد في تلك الليلة كانت ثمة حقيقة قد رسخت في ذهنه المكدود وهي أن ليلى تصلح لأن تكون مطربة، ومع ذلك لم تكن ليلى تحلم أو تفكر أو يخطر لها على بال أن تحترف الغناء يوما، والسبب يعود إلى أنها رغم كل شيء كانت تشعر بانتمائها إلى عالم آخر، عالم يختلف عن ذلك المحيط المزدحم في البيت، عالم زاهد بسيط ليست له أحلام سوى العيش في سلام، ولكنها علمت بعد تلك الليلة الموعودة أن أصدقاء أبيها تحمسوا لصوتها حتى وصل حماس البعض منهم إلى حد الاقتراح على زكي مراد بأن تحترف هي الغناء وتستكمل المشوار الذي بدأه هو خاصة بعد أن طالت غيبته عن أوساط الغناء لكنه صاح مستنكرا: «لا مش ممكن بنتي أنا لأ»، رفض الفكرة من الأساس فعاد داود حسني يقنعه بضرورة أن تخوض ليلى التجربة. وسوف تنجح أولا لأن صوتها جميل، ثانيا لأنهم سوف يقومون بتدريبها وتحفيظها كل الأدوار القديمة حتى ينضج صوتها وتصبح جاهزة تماما لكي تُغني أمام الناس في الحفلات العامة، ثالثا لأن حال الأسرة أصبح معدما ولا سبيل إلى إنقاذه سوى صوت ليلى، فلم يعد ممكنا أن يدفع زكي مراد مصاريف المدرسة وقد باع أغلب أثاث البيت، كما أن زمانه قد ولى والبركة في ليلى وصوتها، ولا أحد ينكر أن ليلى نفسها كانت تنتابها حالة من النشوة كلما انساب صوتها بأغنية من أغاني عبد الوهاب بالذات، لكن إحساسها هذا لم يضارع بشكل أو بآخر إحساسها بالانتماء إلى المدرسة إلى راهبات نوتردام، إلى ذلك العالم المسحور المليء بالقصور والسيارات، العالم الذي ذاقته ذات يوم

حينما كان المال يجري في يدي أبيها بلا حساب، فكيف تترك عالمها المسحور وتنغمس في دوامات الفن التي أطاحت بوالدها وتنكرت له حين عاد؟!

حلم عبد الوهاب يتحقق

مع مرور الأيام أصبح الأمر قدرا يطاردها، وعليها أن تفكر وتدبر خطواته بعد أن صار مصير الأسرة معلقا في حنجرتها، فهل ترفض وتتخلى عن أسرتها أم تقبل وتضحي بأحلامها الصغيرة، فاختارت ليلى التضحية والرضوخ للأمر الأسري الواقع وترقبت تلك الساعة التي سوف يفاتحها والدها في الأمر، وحانت الساعة وتحملت نحوها عشرات المشاعر المختلطة المتضاربة بين الرفض والقبول، والرضا والمهانة، الفقر والمال، وجلست ترقبه وهو يضغط على نفسه ويحايلها كي ينطق ثم يظهر ويعلن في النهاية عن موافقته على أن تحترف الغناء، ليس عن رضا ولكن عن قسوة الاحتياج الذي أحاطه من كل جانب، فلا منقذ من هذا الوضع إلا هي، وبدأ بسؤالها «بتحبي المغنى ياليلى» ردت «أيوه يا بابا بحب المغنى» فقال «إيه رأيك لو علمتك عود. اسمعي أنا فنان وأعرف قيمة صوتك بس أنا عايز أعرف منك كيف تواجهين الناس وتُغنين بصوتك الحلو في حفلات عامة» فشردت ليلى بنظرات صامتة ولكن مدركة لما يدور في رأس والدها الذي كان يبحث عن مخرج للأسرة من دائرة الفقر والعوز، فتنبهت هي وقالت بشجاعة: «اللي تشوفه صح يابابا أنا موافقة عليه، لو شايف إن أنا ممكن أغني للناس وأعمل حفلات يبقى هاغني، وهاعمل»، في تلك اللحظة دب الحزن في قلبه بعد أن شعر بأن ليلى هي الضحية، وأنها هي التي ستدفع ثمن غربته وعزلته، ولكنه تماسك وعاد يسألها «طب إيه رأيك لو خليت واحد من الفنانين الكبار يسمعك ونطلب رأيه» فردت «زى مين؟» فأجاب «عبد الوهاب مثلا»، انتفضت لسماع الاسم فلم تكن تهتم بأن تلتقي بفنان إلا عبد الوهاب شخصيا بشحمه ولحمه، ولكنها عادت تقول «بس يا بابا هانكسف أغني أمام عبد الوهاب»، فتنفس الأب الصعداء وتدفق الحديث من بين شفتيه وراح يصف بساطة عبد الوهاب، ونبل أخلاقه وذوقه حتى اقتنعت واستراح الأب وأصبح أمامه خطوة واضحة محددة عليه أن يخطوها وهي الاتصال بعبد الوهاب، ودعوته إلى المنزل لسماع صوت ابنته.

ولم تمض أيام حتى جاءها زكي مراد بالنبأ السعيد، فسوف يأتي عبد الوهاب غدا خصيصا ليسمعها، فانتظرت اللقاء التاريخي على أحر من الجمر، وهي تائهة حائرة بين إحساسين متناقضين: فرحة اللقاء ومرارة التضحية حتى جاء عبدالوهاب ومعه الدكتور بيضا وإيزابيل

بيضا صاحبا شركة «بيضافون»، ودخلت ليلى مثل الفراشة الهائمة التي تبحث عن مصدر ضوء تلقي بنفسها فيه حتى لو احترقت أجنحتها، فنظر إليها المطرب الشاب وسألها «ناوية تسمعينا إيه ياحلوة». والتقط عوده في انتظار سماع الرد فأجابت الفراشة الهائمة «هاغنى ياما بنيت قصور الأماني». فارتفع حاجبا عبد الوهاب في دهشة بعد أن اختارت ليلى الدور الصعب وقال ساخرا «مرة واحدة.. طيب أمرك»، وامتدت يده إلى الأوتار وراح يداعبها وليلى تشدو كأروع ما يكون الإنشاد حتى غرقت في اللحن وذابت في محراب سري من السعادة التي انتابتها وهي تُغني لساحر النساء ومعبود الفتيات، حلم حياتها وأمل شبابها، فجاءها صوت عبد الوهاب مهنئا بجمال الصوت وبراعة الإحساس وطلب منها المزيد فغنت «أفديه إن حفظ الهوى أو ضيعه» ثم « أراك عصى الدمع» للشيخ أبو العلا يليها «يازهرة الوادي»، وما أن انتهت حتى سمعت صوتا آتيا من خلفها موجها إلى أبيها ويقول «يا أستاذ زكي إنت مخبي عنا ليلى إزاي الوقت ده كله، ده حاجة عظيمة جدا. هايل. فتح الله عليك يا ليلى» .. ولم تستطع ليلى أن تتحمل كلمات عبد الوهاب فغادرت الغرفة وهرولت يمزقها الإحساس الشديد بالسعادة والخجل والخوف والحزن، في آن واحد، وطار وراءها زكي معلنا أن الأستاذ عبد الوهاب مبسوط ويرى أنه لابد وأن تصقل الموهبة والخبرة عن طريق الاشتراك في الحفلات العامة، وقبل أن ينصرف عبد الوهاب من البيت وفي صحبته موريس بيضا وزوجته إيزابيل كان قد اتخذ قرارا أثلج صدر ليلى مراد وأضاء الدنيا أمام عينيها إذ قال إنه في خلال عام واحد ستتعاقد «بيضافون» مع ليلى على ملء عشر اسطوانات، وعقد زكي مراد العزم وبدأ فريق العمل المكون من أحمد صبيح عازف العود وداود حسني وزكريا أحمد والقصبجي لتدريب ليلى وتحفيظها كل التواشيح والأدوار فضلا عن أسرار البدء في الغناء والدخول في الوقت المطلوب مع التخت الموسيقي، حتى تتشرب الصنعة جدا. ومرت الأيام والأسابيع وخلية النحل لا تهدأ، السنباطي يتفرغ ليلحن لها أول أغنية «آخ من الغرام والحب»، وزكريا أحمد يعلمها العزف على العود، ثم جاءت ليلى للاستعداد للحفل وتنبه زكي مراد إلى أن الحفلة تحتاج إلى صالة لكي تقام عليها، والصالة تحتاج إلى أجر، والأجر يحتاج إلى مقدم والأسرة لا تملك ثمن وجبة عشاء فاقترح داود حسني على زكي مراد أن يذهب ويقابل يوسف بك وهبي ليستأجر منه مسرح رمسيس «مسرح نجيب الريحاني الآن» خاصة بعد أن أنهت الفرقة عروضها وأصبح المسرح خاليًا فوافق زكي وذهب ولم يخيب يوسف بك أمله؛ إذ رفض أن يأخذ مليما من إيجار المسرح إلا بعد الحفل، ونشط زكي وأرسل فاستدعى متعهد الحفلات الذي كان يعمل مع فرقة رمسيس وتولى معه عمل كل الترتيبات

الخاصة بالحفل مع طبع وبيع التذاكر وتوزيع الإعلانات والدعاية للمطربة الصغيرة ليلى مراد، وبالفعل بدأت تجتاح شوارع القاهرة إعلانات عن المطربة الجديدة حملت الإعلانات عبارات كثيرة كان المقصود منها إغراء الجماهير من هواة الطرب؛ لكي يقبلوا على شراء التذاكر مثل «الاكتشاف الذي تبناه محمد عبدالوهاب»، «الصوت الذي يغني كل الأدوار والتواشيح»، ليلى مراد ابنة المطرب المعروف زكي مراد وتلميذة داود حسني والقصبجي والسنباطي وزكريا أحمد» وامتدت هذه العبارات إلى صفحات الجرائد والمجلات، بل وفوجئت ليلى ولأول مرة في حياتها بمجلة «روزاليوسف» التي كانت قد بدأت في الصدور تنشر خبر الحفل مع صورة لها لا تدري من أين حصلت المجلة عليها، وتحدد موعد الحفل في النصف الثاني من شهر يوليو عام 1933، وبدأ زكي يوزع تذاكر الحفل على أصدقائه من الفنانين والأدباء والنقاد والصحفيين والأعيان كما بدأت ثمار الحفل تظهر حتى قبل إقامته بعد أن أصبحت الصالة كاملة العدد في انتظار ظهور النجمة الصغيرة صاحبة الصوت الفضي ليلى مراد، واقتربت الليلة الأولى وأصبح كل شيء جاهزًا «المسرح، التذاكر، والدعوات الشخصية»، ثم تنبه الجميع إلى ليلى نفسها، ونظروا إليها طويلاً فسقطت قلوبهم، كيف ستبدو هيئة ليلى؟! إنها طفلة بجسد نحيل، كيف تبدو فتاة ناضجة مقنعة لمئات من السميعة؟ المظهر الخارجي يلعب دورا ويترك انطباعا أوليا فماذا هم بفاعلين أمام هذا الإشكال؟

ذات الرداء الأسود

في الوقت الذي كان الجميع يفكرون فيه في الهيئة المناسبة التي يجب أن تبدو عليها ليلى في تلك الليلة، كانت ليلى منخرطة في التفكير، خائفة من رد فعل زميلاتها في مدرسة نوتردام حين يعلمون أنها تركت الدراسة لتحترف الغناء في الحفلات العامة؟ وماذا سيقولون عن أبيها الذي كان يغضب حينما يسمع دندنة تصدر منها وهو الآن يرضخ تحت ضغط الأزمة ويدفعها دفعا نحو هذا الطريق الشائك؟

والسؤال: هل كانت ليلى في تلك السن الصغيرة مهيأة أو قادرة نفسيا وإنسانيا على تحمل عبء الأسرة والغناء في مواجهة جماهير غفيرة تملأ مسرحا؟ الإجابة بالطبع هي لا، ولكن مع خطورة السؤال فإن الهيئة الخارجية لليلى كانت تشغلهم أكثر فانكبوا لأسابيع طويلة يفكرون في حل تلك المعضلة، إلى أن حلت الأم مشكلة هزال ليلى ونحول جسدها بعد أن صنعت لها صدرا صناعيا ثم ألبستها بلوزة فوق بلوزة وعددا هائلا من الجونلات؛ حتى تبدو نوعا ما مستديرة بأرداف ممتلئة، فقد كانت مقاييس الجمال تختلف في هذا العصر، فكان

الشحم واللحم والاكتناز من علامات الجمال التي تبهر الأبصار وتملأ العيون، كان الجسد الممتلئ المربرب في البنات والسيدات هو موضة تلك الفترة من أوائل الثلاثينيات، والشيء الغريب حقًّا هو قرارها بأن تعتلي المسرح وهي ترتدي فستانا أسود، والكل كان مندهشا من إصرارها على اللون الأسود؛ لأنه يعطي سنا أكبر وهيئة أضخم بينما الألوان الزاهية دائما يرتديها الصغار، ولكن في قرارة نفسها كانت قد اختارت هذا اللون؛ لأنها كانت تعاني من آلام الخجل ومرارة التضحية وعوز الأسرة، كل هذا فوق رأسها، لهذا شعرت في هذه الليلة بأنه حفل حداد وليس حفلاً غنائياً، وعبثا حاول الجميع إقناعها باختيار لون آخر فلماذا لا يكون الفأل حسنا وتختار اللون الأبيض، أو أي لون آخر يثير البهجة عند الناس لا الحزن؟ ومع ذلك أصرت ليلى إصرارا عجيبا فتركوها تلبس ما تشاء ومر الأسبوع الأخير قبل الحفل والأب متماسك يتظاهر بالثقة ولكن قلقه كان واضحا، فبعد أيام يتحدد مصير أسرته، هذه هي الحقيقة التي يعلمها الكبير في البيت قبل الصغير، وحانت الليلة فحملوها إلى المسرح، كل شيء جاهز.. الزحام من حولها والوجوه مضطربة والبسمات تحمل معنى الإشفاق أكثر من الثقة، خلف الستار دفعوها دفعا فنظرت كالمنومة تبحث عن والدها فلم تجده، اختفى من شدة الرعب ولكنها تماسكت حين رأت رياض السنباطي يقف وسط العازفين بجوارها، أجلسوها فوق مقعد يواجه الستار المغلق، بينها وبين المستقبل حائط من القماش، ومن خلفها كانت أصوات الآلات والأوتار تضبط ثم ساد السكون فجأة، وتصاعدت دقات المسرح الثلاث معلنة عن بدء الوصلة الأولى، ارتجفت الستارة فارتجف قلبها وانفرجت فانفرج قلبها، وازداد السكون عمقا عندما بدأت الفرقة تعزف خلفها وهي أمام عشرات الرؤوس ومئات العيون المحدقة، ومع تدفق اللحن تفتحت أذناها فانتشت له فجأة واستغرقها فاستغرقت علوا فطاوعته. تسلل إليها فتركت نفسها تذوب فيه، وما أن انتهت من غناء أولى أغانيها «آه من العذاب والحب» حتى نهضت واقفة تحيي جمهور المتفرجين وتعود من جديد تُغني «الآه» بأداء شديد الحرارة، قالتها وغنتها ونغمتها ورددتها فجن الناس جنونا بهذا الصوت، وتماوجت فانهمر الدمع مع الكلمات فأغرق كل شيء وأغلق الستار على الوصلة الأولى، وقال المخضرمون إن هذه الليلة شهدت مولد نجم جديد في سماء الغناء وهي ليلى مراد، دلف أبوها المنبهر والمنفعل بكل هذا القبول من بين الناس إلى صغيرته وراء الكواليس؛ لكي يحتضنها ويضمها إلى صدره وهو يقول: «ألف مبروك يا ليلى أبدعت ونجحت» .. وفي الوصلة الثانية قرر زكي أن يدخل ابنته في امتحان صعب في ليلتها الأولى، حتى تثبت وجودها في عالم الطرب، وكان الامتحان الصعب هو أغاني الشيخ أبو العلا، فما

من مطرب أو مطربة في ذلك العصر لم يغن أغنية الشيخ أبو العلا «أفديه إن حفظ الهوى أو ضيعه». فإن أجاد كان هذا بمثابة جواز مرور إلى عالم الشهرة والمجد، فلم يتردد زكي وأشار إليها بأن تنوع في وصلتها الثانية والثالثة بين أدوار عبده الحامولي وألمظ والشيخ أبو العلا محمد، فالتزمت ونفذت ما اقترحه والدها، وأسدل الستار على الوصلة الثانية والتصفيق أكثر وعبارات الاستحسان تنهال عليها من كل جانب، حتى أن السيدة روزاليوسف جاءت بنفسها ودخلت غرفة ليلى مراد طالبة أن تراها لتحييها على أدائها وكانت في ذلك الوقت لا تزال أشهر شخصية في الوسط الفني،، احتوت روزاليوسف الصغيرة ليلى وقبلتها في حنان، وقالت: «هايلة يا ليلى أكيد هتغيري مجرى الطرب في مصر، والله زكي عرف يفاجئنا صحيح مبروك يا أمورة.. ألف مبروك»، وانصرفت روزاليوسف وانفض المولد، وكلمات سيدة المسرح ترن في أذنيها، هل صحيح يمكنها أن تغير مجرى الطرب في مصر؟ وهل نجاح الليلة هو بداية طريق المجد، ولم لا وقد بذلت كل ما في وسعها؟ حفظت وتدربت وأتقنت ولم يبخل أحد عليها سواء بالخبرة أو المعلومة أو بالوقت أو بالمجهود، الكل تكاتف لإنجاحها وقد كان، ثم عادت لوصلتها الثالثة والأخيرة وكان الختام من مسك بأغنية «أفديه إن حفظ الهوى أو ضيعه»، والمضحك أن ليلى كانت تقاوم النعاس بشدة والذي غلبها لدقائق من شدة الإرهاق والتعب فتنبه الجمهور، وقال «كفاية عليها كده حرام عليكو، ده لسه 12 سنة خلاص غنت وأبدعت وعملت اللي عليها خلوها تروح تنام ولكم ثواب»، وبالفعل انتهت الليلة على خير وبنجاح عظيم، كان يفوق بكثير ما توقعه زكي مراد، كان سعيدا كالطفل، وعادت الدماء لتجري في عروقه، لقد ردت ليلى له الروح التي انسلخت منه حين هاجر وعادت على يد الصغيرة.

ليلى بنت الريف

ودخلت ليلى مراد في دوامة الحفلات العامة، وأصبحت تكسب جمهورا جديدا كل ليلة، كانت لا تزال ابنة الرابعة عشرة وفي كل يوم تزداد ثقة وهي تواجه جمهورا متحمسا لها عاشقا للطرب، فيشحذ صوتها ويملأ جنبات المسرح رغم سنها وعدم وجود مكبرات للصوت في تلك الفترة بدأ يخطط زكي مراد لمستقبل ابنته الموهوبة فنيا، بحيث ترتقي مكانتها الفنية بحيث لا تتوقف عند تلك التي احتلها هو من قبل، وعليه درس الوضع جيدا بعد نجاح لياليها المتتالية، وقرر أن يطوف بها المدن من مصر إلى أسوان حتى يذيع صيتها في القرى والمراكز ولم يضيِّع زكي مراد وقته فبعد أسبوع من إقامة حفل لها على مسرح رمسيس تعاقد على أن

تحيي ليلى حفلا في السينما الصيفية بحدائق القبة، وبعدها بيومين كوكتيل بأحد نوادي مصر الجديدة، كان فنانا مدربا يعرف كيف يستغل موهبة ابنته ويصقلها، وكان يعرف كيف يقدم حنجرتها للناس وهي في أحلى ثوب، كان مدركا تماما لخبايا السوق ومزاج السميعة، لذلك فقد كان يقيم حفلات الليلة الأولى لحسابه الخاص، ولم يلجأ إلى متعهد بل ادخر ماله لنفسه وأسرته وترك الوقت يمضي، والاسم يلمع يوما بعد يوم حتى أتاه المتعهدون من كل أنحاء مصر، أتوا ليفرض عليهم شروطه بعد أن أصبحت ليلى نجمة في عالم الطرب، وكانت خطته القادمة هي كما سبق وقلت أن تطوف ليلى بمحافظات مصر كلها، واستمرت الرحلة طويلا وحققت ليلى فيها نجاحا باهرا، ولم تنس تلك الليلة التي أحيتها في الصعيد والتي علمتها الصبر والمثابرة، فذات يوم فوجئت ليلى بأحد الأمراء داخل ناموسية سريرها وهو مخمور يريدها بجنون، وقد حدث ذلك ذات ليلة في كوم امبو وفي ليلة أخرى سقطت مغشيا عليها عندما شاهدت دماء الذبائح وقد لطخت يد الناس في رشيد ابتهاجا واحتفالا، وبعض أبطال هذه الحكايات رحلوا عن دنيانا، والبعض الآخر أظنهم ما زالوا على قيد الحياة، المهم أن هذه الأيام قد تركت آثارها الإيجابية على نفسية ليلى مما جعلها صلبة التكوين قوية تعرف كيف تتصرف أمام أي تجاوز حتى لو كان أميرا وعلى حصان أبيض. ومع الأيام تدربت ليلى على ما يطلبه الناس وصارت متمرسة في قراءة أفكارهم ونظراتهم بالذات، فبرغم صغر سنها إلا أنها كانت واعية تعرف كيف تحافظ على مسئولياتها تجاه العائلة بل وتجاه مستقبلها أيضا، كان درسها الذي لقنته للأمير المخمور هو أول الدروس التي جعلتها فيما بعد تعرف كيف تتعامل حتى مع الملك نفسه.

أول أغنية بالصوت والصورة

ولما كانت الأغنية الجديدة تحتاج إلى نظم ولحن، وكلاهما أي النظم واللحن كانا يحتاجان إلى مال، وحيث إن زكي مراد في بادئ الأمر كان يفتقد السيولة وبحاجة إلى كل مليم لسداد احتياجات الأسرة وتخليص الديون المتراكمة عليه، كان زكي يطلب من أحد الملحنين سواء السنباطي أو القصبجي لحنا واحدا فقط تتدرب عليه ليلى ويكون بمثابة شيء جديد تقدمه باسمها، وفي نفس الوقت تقدم الفن الذي يطرب له الجميع وهو الأدوار القديمة، وبهذا يضمن زكي نجاح ابنته في الجمع بين الجديد المتطور وبين القديم والأصيل في آن واحد.

والمدهش أن ليلى لم تغن الألحان القديمة كما كانوا يلقنونها، كانت أذكى وأعمق من ذلك، كانت تعيد توزيع اللحن داخل إحساسها هي به ذلك الإحساس المغرق في الحزن،

فإذا باللحن يخرج وكأنه جديد ومتطور ورغم معرفة الناس به من قبل، وبدأ النجاح الفني يعرف طريقه لها فضلا عن أنه فتح لها بوابة الظهور في السينما، وكانت تجربتها الأولى مع الفنانة بهيجة حافظ أول ممثلة في تاريخ السينما، التي مثلت أول فيلم مصري صامت بعنوان «ليل»، فقد شرعت وقتها في إنتاج فيلم ناطق بعنوان «الضحايا» فوقع اختيارها على ليلى مراد لتُغني أغنية «يوم السفر» بصوتها، وهي أغنية الفيلم الرئيسة من تلحين «زكريا أحمد» بعد أن رأتها طبعا على المسرح وسمعت صوتها عن قرب، وتعاقدت بهيجة مع ليلى ودفعت لها أكبر أجر تقاضته في ذلك الوقت وهو خمسون جنيها، وبدأ زكريا أحمد على الفور في تلحين الأغنية وتدريب تلميذته على حفظها حتى أجادت وعرض الأغنية على بهيجة، وكان ذلك في منزل زكي مراد، فلما سمعت بهيجة الأغنية دب الخلاف بينها وبين زكريا وكانت قاسية كل القسوة وهي تصف الأغنية بأنها كئيبة وثقيلة ويمكن أن تتسبب في فشل الفيلم كرد فعل عند الجمهور عندما تسبب لهم اكتئابا، وطالبت بتغيير الأغنية وتغيير اللحن الجنائزي فغضب زكي، واعتبر رأي بهيجة إهانة له ولزكريا ولليلى أيضا ورفض طلبها وقال إن ليلى لن تشترك في الفيلم إلا إذا غنت هذا اللحن الذي وضعه زكريا أحمد، فانفعلت بهيجة هي الأخرى، لكن زكي ظل متشددا صلب الرأي لا يلين وربما كانت هذه واحدة من مواصفاته الحسنة التي جعلته فيما بعد يجيد مهارة الاتفاق على ظهور ليلى في أفلام جيدة في أفضل الظروف المادية والفنية، وبصورة تجعلها تؤكد مكانتها كبطلة وكموهبة غنائية متفوقة في زمن سيطرت عليه أم كلثوم وأسمهان ونادرة وغيرهن.

وأمام عناد زكي مراد وافقت بهيجة على مضض، وكان أول المشاهد التي صورتها ليلى مراد مع بهيجة حافظ كمخرجة هو الحفل الذي غنت فيه أغنية زكريا ثم باقي المشاهد استأثرت بها بهيجة وعرض الفيلم 1935 وهو من أوائل أفلام السينما الناطقة؛ وكانت الإذاعة في ذلك الوقت هي حلم كل فنان يسعى إلى الشهرة ؛ الانتشار ؛ لكن ليلى مراد لم تسع للغناء في الإذاعة ؛ بل إن الإذاعة هي التي سعت إليها بعد أن استمع الكثيرون إليها في الحفلات العامة؛ وعلى رأسهم الأستاذ مدحت عاصم مدير الإذاعة في ذلك الوقت والذي أعجب بصوتها، وتعاقد معها على الغناء مرة كل أسبوع ؛ كانت ليلى تسجل حفلها كل يوم ثلاثاء مع الشيخ محمد رفعت حيث كان يسجل تلاوة القرآن في نفس اليوم، وكانت هي تُغني الأغاني القديمة، وبعد أن تنتهي حفلتها كانت تنزل إلى شارع الشريفين لتتعرف على صدى غنائها، فتجد الناس يتزاحمون عليها أثناء عودتها إلى المنزل بكل الحب والإعجاب فتتأثر بهذه المشاعر التي منحتها الثقة بالغناء وبنفسها .

واستمرت ليلى في تسجيل الوصلة الغنائية الأسبوعية في الإذاعة، وتعاقدت مع شركة اسطوانات وسجلت الكثير من الأدوار والطقاطيق.

لقاء مع أم كلثوم

وفي تلك الفترة من الحياة الفنية والغنائية في مصر كانت المنافسة على أشدها بين المطربين والمطربات، ولكنها كانت منافسة شريفة وقوية ساهمت في ازدهار الحركة الفنية والموسيقية في مصر. فعندما ظهرت ليلى مراد على الساحة الفنية كانت أم كلثوم قد بدأت رحلتها الفنية بالفعل، ويذكر أن ليلى مراد كانت تصاب بحالة من الرعب إذا ما رأت أم كلثوم، وحدث في يوم أنه أثناء وجودها في الاستوديو ومبنى الإذاعة لتذيع إحدى وصلاتها الغنائية لمحت الأستاذ محمد القصبجي يدخل حجرة المهندسين التي يفصلها عن الاستوديو حاجز زجاجي، وكان بصحبته سيدة شابة سمعت من حولها بعض الهمس يعلن أن هذه هي أم كلثوم، وبعد أن انتهت الوصلة الأولى اقتحم والدها الاستديو على غير عادته ومال عليها وهمس في أذنها أن تغني بقوة وثقة؛ لأن أم كلثوم بنفسها تسمعها، بالطبع فزعت ليلى الصغيرة واضطربت، وتمنت ألا تعرف لأنها كانت ستتصرف بشكل أبسط وبدون تكلف ولكنها تماسكت حتى النهاية وبدأت تُغني وقلبها يتقافز كلما بدر من الست أم كلثوم أي بادرة استحسان أو إعجاب سواء بهزة رأس أو إشارة يد، وحين انتهت صفق الجميع، الشيخ محمد رفعت وتبعه القصبجي ثم أم كلثوم وانتقلت عدوى التصفيق إلى مهندسي التسجيل وكل الذين كانوا في الاستديو، ومنذ تلك الليلة أصبحت أم كلثوم من أشد المعجبات بليلى مراد، وزادت شهرتها وازداد لمعان اسمها في دنيا الغناء والطرب خاصة بعد أن اخترع ماركوني شرئط التسجيل واستخدمتها الإذاعة المصرية بعد أن ظلت فترة طويلة تعتمد على الأسطوانات، فصارت تسجل تلك الوصلات لتذاع مرتين وثلاثًا في الأسبوع الواحد، وظلت ليلى تواصل نجاحاتها على مدى ثلاث سنوات في الإذعة وزاد أجرها عن الوصلة الواحدة حتى نعمت بمستوى عال من الأجر حيث كان والدها خبيرا بالتعاملات المادية، وكان يضع في اعتباره عند إجراء التعاقدات باسمها أن يحصل على أكبر أجر ويستغل فرصة زيادة الطلب عليها في مجال الحفلات العامة في المدن والأقاليم.

وهكذا كانت بدايتها الحقيقية في دنيا الغناء من أول أن تبناها داود حسني وهي ابنة الاثني عشر عاما مرورا بألحان السنباطي والقصبجي وزكريا أحمد الذي صاحب بدايتها وأعطتها هذه البداية ثقلا وخبرة، ثم مساعدة يوسف بك وهبي بمسرحه وتوالي الحفلات العامة ومنها

إلى أول عرض لفيلم ناطق مع بهيجة حافظ، ثم الالتحاق بالإذاعة وحفلات يوم الثلاثاء من كل أسبوع التي ساهمت في نجاحها وتقديمها بصورة لائقة، فانهالت عليها شركات الاسطوانات، وبعد ثلاث سنوات من الانتشار والنجاح رشح محمد عبد الوهاب ليلى مراد لتشاركه بطولة ثالث فيلم له وهو «يحيا الحب» بعد تجربته مع نجاة علي ورجاء عبده، ومثلما كان عبد الوهاب البوابة الذهبية لاحترافها الغناء حين سمع صوتها لأول مرة في منزل العائلة كان أيضا البوابة الذهبية للمجد السينمائي، وحين علم والدها زكي مراد باختيار عبد الوهاب لها لتشاركه البطولة والغناء في فيلمه الجديد رأى أن يحذر ابنته من التعامل الفني معه رغم أنه كان من أول المشجعين له أول ما ظهر على الساحة الفنية، كما أنه كان أول من اقترح على ليلى فكرة دعوته لسماع صوتها، ومع ذلك لم يكن ينظر للأمر كما كانت تنظر له ليلى بالنسبة لمشاركتها عبد الوهاب في فيلم غنائي، وكأنها فرصة عمرها لتحقيق النجومية والشهرة، وكان والدها المحنك يعي وينظر للمسألة من زاوية أخرى مختلفة تماما عن تلك التي تنظر لها ليلى بنظرتها الوردية وهي أن عبد الوهاب فنان أصيل وغيور على فنه، وقد يبخل بألحانه الجميلة عليها ويستأثر لنفسه ويقدم لليلى الألحان الأقل حجما حتى لا تسرق منه إعجاب الجماهير، وكان زكي مراد محقا في تخوفه؛ وذلك لأن محمد عبد الوهاب نفسه كانت له سوابق مع منيرة المهدية وغيرها تؤكد دون شك مثل هذه الأفعال وذلك حين طلبت منه منيرة عام 1926 أن يكمل لها تلحين مسرحية «كليوباترا» التي كان سيد درويش قد لحن منها الفصل الأول فقط قبل وفاته، واستأثر عبد الوهاب لنفسه بأجمل الألحان المسرحية وبعد انتهاء المسرحية كل ليلة كان المشاهدون يخرجون ليتحدثوا عن روعة عبد الوهاب وجمال ألحانه بينما كانت سلطانة الطرب أقل حظاً من الإطراء، وظلت هذه الحادثة حديث النقاد لفترة طويلة، فكانت ليلى ترد عليه أنه ربما قد فعل ذلك دون قصد لأنه كان لا يزال مطرباً صاعداً ولم يشد إليه اهتمام الكثيرين، وكان ما زال يبحث لنفسه عن فرصة أمام فطاحل الغناء والموسيقى، وكان طبيعياً أن يجد في وقوفه أمام منيرة المهدية التي كانت تتربع على عرش الغناء والطرب فرصة ذهبية فأراد أن يستغلها ليثبّت أقدامه ويرسخ مكانته، أما بعد أن أصبح مطرب مصر الأول وبلبل الشرق وكروانه بلا منازع فلم يعد في حاجة لعمل مثل هذه الأفعال، وقد يلعب دور الأستاذ وراعي المواهب ومكتشف النجوم أيضا . وهكذا حللت ليلى مراد لوالدها الأمر رغم صغر سنها لأنها كانت مدركة عاقلة ورشيدة.

مطربة ألف أغنية

قدمت ليلى مراد حوالى ألف أغنية في 27 سنة، ولحن لها كبار مشاهير الملحنين في الأربعينيات والخمسينيات ومنهم محمد القصجبي الذي لحن لها «أنا قلبي دليلي، بتبصي لي كده ليه، نعيما يا حبيبي، اللي ف قلبه حاجة يسألني» ، وأغاني أفلام «غادة الكاميليا» و«ليلى في الظلام» و«ضربة قدر» و«خاتم سليمان» . ورياض السنباطي الذي غنت له «مين يشتري الورد مني» وأغاني «شادية الوادي» وأغاني «ليلى بنت الأكابر»، أما زكريا أحمد فقدم لها أغنيات «ليلى بنت الريف» و«ليلى بنت مدارس» ، ولا أحد ينكر ما قدمه لها محمد فوزي من أروع الألحان ومنها «يا اللي غيابك حيرني» و« منايا في قربك» و«أنا قلبي دليلي» و«شحات الغرام» وأغاني فيلم «الهوى والشباب» و«المجنونة» ، أما أحمد صدقي فقد لحن لها «بحب اتنين سواء» و«يا مسافر وناسي هواك» وأغاني فيلم «آدم وحواء» و«حبيب الروح» و«كلمني يا قمر» ثم لحن لها محمود الشريف «من بعيد يا حبيبى باسلم» وأغاني فيلم «من القلب للقلب» و«سيدة القطار» و«اطلب عينيَّ» فضلا عن أغاني أفلام «غزل البنات» و«عنبر» وغيرها من تلحين الموسيقار محمد عبد الوهاب الذي صاحبها من البدايات وآمن بموهبتها، وظل يساندها طوال العمل حتى إنه حين حاولوا معها أن تعود لميكروفونات الإذاعة المصرية دون أن تظهر اشترطت أن تكون عودتها على يد محمد عبد الوهاب من خلال أروع الألحان؛ خاصة أنه أشيع أنها تحمست للفكرة بعد أن علمت بعودة عبد الوهاب بلحن وغناء أغنية «من غير ليه»، بعد توقف دام ما يقرب من 35 عاماً.

ليلى ومنير مراد

وقد يتساءل البعض: لماذا لم تتعاون ليلى مراد مع شقيقها منير مراد وكيف لها أن تترك حنجرتها تذوب مع ألحان الأغراب بينما تبخل على أقرب المقربين؟ فكما خرجت ليلى مراد من منزل زكي مراد مطربة ناجحة وملكة متوجة على عرش الأغنية العربية خرج أيضا منير مراد الذي رغم قصر مشواره إلا أنه ترك علامات بارزة في تاريخ الأغنية، فهذا الفنان لحن مئات الألحان لشادية وعبد الحليم حافظ ونجاة وصباح، ولكنه لم يلحن لشقيقته سوى أغنية واحدة وهي «أنا زي ما أنا وأنت بتتغير» ، وحين سئلت ليلى مراد ذات يوم عن شقيقها ورأيها فيه وذكرياتها معه قالت إن منير مولود أرتيست بطبيعته، غلبنا كلنا، فقد كان يترك

المذاكرة ويمسك العود، عمل في أكثر من مهنة قبل الاستقرار على التلحين، بدأ حياته كمصور سينمائي ثم ترك الفن وعمل بائعا للجبن والبسطرمة والصابون، ثم عاد مرة أخرى مساعد مخرج لعدد كبير من المخرجين، وكان أهمهم هو أنور وجدي الذي أغراه ذات يوم بالمال الذي يمكن أن يربحه من التجارة فاشترك معه في صفقات كبيرة من البطاطا وأمواس الحلاقة، ولما كسب أنور وجدي من هذه الصفقات أعطاه أول أغنية لتلحينها من فيلم «ليلة الحنة» وهي أغنية «واحد اتنين» لشادية، ونجح الفيلم ونجحت الأغنية وعلقت في أذهان الناس وعليه اعتزل منير التجارة وتفرغ للموسيقى والألحان. أما عن سبب عدم تعاونها فنيًّا معه إلا في أغنية واحدة فتقول : «أنا عاملة تمام زي اللي أخوها جراح وبتعمل عمليات بره، وده مش معناه إنى مش معترفة بيه بالعكس منير طول عمره موهوب بس الحكاية جت كده مش مقصودة»، ورغم أنها لم تتعامل مع شقيقها الصغير، إلا أنها كانت المطربة الوحيدة في تاريخ السينما التي جمعت في العمل بين الموسيقار محمد عبد الوهاب والموسيقار محمد فوزي ولكنها لم تتعاون مع فريد الأطرش رغم تألق الاثنين في فترة زمنية واحدة، والغريب أن الاثنين كان لهما صديق حميم مشترك وهو الشاعر الغنائي مأمون الشناوي، ومع ذلك لم يستطع جمعهما في أغنية واحدة من كلماته، ويعلل الناقد الموسيقي كمال النجمي أسباب ابتعاد ليلى عن الغناء في الإذاعة بأنها قامت بعمل الأغنيات بأجر لا يتجاوز 400 جنيه ومنها أغنية «العيش والملح وليه أفكر فيه وجانا الهوى» ، ولكن تكلفة تلك الأغنيات كانت أكثر بكثير فتحملت ليلى مراد نفقة الأغنيات من حسابها الخاص.

قبل ذلك الوقت أو بمعنى آخر في الأزمنة القديمة كانت ليلى مراد تتقاضى عن الأغنية أجراً كاملاً ثم تتولى دفع أجور الملحن والمؤلف والموسيقيين، ولكن النظام الجديد في الإذاعة فرض عليها وضعًا رفضته هي وكان ينص على أن يخصم الأجر لحساب الضرائب، وهذا أوقعها في مأزق فهي من ناحية لن تستطيع أن تخصم هذا من الفنانين لأنها ليست جهة حكومية ومن ناحية أخرى لو دفعت الأجور كاملة فلن يبقى لها شيء، وزاد ذلك من حسرتها وعزلتها ودفعها للانسحاب من الساحة حين شعرت بأنها لن تستطيع أن تتأقلم مع العصر الجديد بعد أن اعتادت على أن تعيش وسط الطرب القديم والأدوار والتواشيح وسط البشوات والبكوات وقصورهم وحياة الترف والطرب، فعندما قامت الثورة جاهدت كثيراً لكي تتأقلم مثلما تأقلم كثير من المطربين والمطربات قبلها ولكنها لم تستطع ففضلت الانسحاب والانزواء بعيداً.

تخونوه

من الحكايات التي لا يعلمها بل ويجهلها الكثيرون أن أغنية «تخونوه» التي غناه عبد الحليم حافظ كانت في الأصل أغنية ليلى مراد، والقصة بدأت حينما كتب المرحوم إسماعيل الحبروك الصحفي والشاعر الغنائي المعروف كلمات الأغنية وأعطاها لبليغ حمدي لكي يلحنها وإذا ببليغ يتصل بالفنانة ليلى مراد ويعرض عليها أن تغنيها فسمعتها وأعجبت بها وقررت أن تسجلها على حسابها الخاص وتهديها للإذاعة، وفعلا بدأت البروفات وحدث أثناء وجود عبد الحليم حافظ في معهد الموسيقى أنه سمع الأغنية عن طريق الصدفة وأعجب بها وطلب من بليغ أن يغنيها خاصة أنها تتناسب مع موقف من مواقف فيلمه الجديدة «الوسادة الخالية»، وفي ذلك الوقت كان عبد الحليم يتعاون مع كمال الطويل ومحمد الموجي ولم يكن قد سبق له التعاون مع بليغ في أي لحن سابق، في البداية رفض بليغ، وقال إن الفنانة ليلى مراد سجلت بالفعل الجزء الأول من الأغنية ولن يستطيع أن يعرض عليها الأمر؛ لأنه في غاية الإحراج، فألح حليم عليه وبالفعل ذهب بليغ لكي يخلص ضميره أمام حليم وعرض على ليلى مراد الأمر، وبمنتهى العظمة والاحترام وافقت على أن تتنازل عن الأغنية لحليم وتمنت له النجاح، وكانت هذه الأغنية بداية تعاون كبير بين عبد الحليم حافظ وبليغ حمدي.

ليه خلتني أحبك

أما آخر المعارك الفنية التي خاضتها ليلى مراد قبل تقاعدها فكانت مع الفنانة نجاة الصغيرة حول أغنية «ليه خلتني أحبك» التي لحنها كمال الطويل لليلى مراد وغنتها هي في آخر أفلامها سنة 1955، وإحقاقاً للحق لم تسرق نجاة الصغيرة هذه الأغنية من ليلى مراد كما أشيع في الأوساط الفنية، فالحقيقة كانت خارجة عن إرادة الفنانتين ليلى مراد ونجاة الصغيرة، ويُسأل في ذلك الملحن الكبير كمال الطويل، فقد غنت ليلى مراد هذه الأغنية في فيلم «الحبيب المجهول» وتقدم بها كمال الطويل في الإذاعة فاعترضت لجنة النصوص والألحان على أكثر من جملة في الأغنية ومنها «أهرب من ذنبك» و «بادعي لك بأمانة روح منك لله» ، وطلبت تغييرها وقام الشاعر الكبير مأمون الشناوي بتغيير الكلمتين وأصبحت الجملة «أهرب من حبك» بدلا من ذنبك، و « بادعي لك آه يا أنا» بدلا من بأمانة، وبعدها

ذهب كمال الطويل وطلب من ليلى مراد إعادة تسجيل الأغنية بالجُمل الجديدة، ولكنها رفضت تماما، وقالت إن ليلى مراد لا تخضع أغنياتها للجان وإن ما تغنيه لا يذاع على الجمهور، وكان هذا الإصرار من جانبها دليلاً على اعتزازها بنفسها وبقيمتها الفنية كمطربة تربعت على عرش الغناء سنوات طويلة، ولكن كمال الطويل كان ينظر للأمر من ناحية أخرى فخشي أن تموت الأغنية إذا لم يسمعها الجمهور من الإذاعة المصرية ففضل تسجيل الأغنية بصوت نجاة، وترك هذا أثرًا غائراً في نفس ليلى مراد فأحست بأنها مضطهدة وأن مضطهديها أقوى منها، ولازمها هذا الإحساس فاعتكفت طويلا في بيتها حتى أفاقت على دقات الزمن تدق بابها، ورغم ابتعادها وانعزالها ورحيلها المبكر عن دنيا الطرب، فإن حنجرتها لا تزال كأنغام الكمان تعلو وتهبط، وتئن وتضحك، تدخل وتخرج منها إلينا.

obeikandl.com

من حلمي بكر إلى ليلى مراد:

المكر فيها طبع جميل
إن قالت لأ.. لأ.. يعني نعم

حالة من التدفق لا تنضب، جملة متواصلة متجددة تعرف طريقها إلى القلوب . أداء إنساني يجمع ما بين البساطة والحرفنة والعظمة والتواضع وخفة الظل والعمق، حياة حافلة بأروع التجارب الفنية لمشاهير المطربين والمطربات والتي بدأها وهو لا يزال طالباً في معهد الموسيقى بالسنة النهائية، وكان على رأس القائمة في أولى إبداعاته الفنانة ليلى مراد . لماذا لا نترك له دفة الحوار ليقول لكم ولي قصة تعارفه على الفنانة ليلى مراد وكيف امتدت خيوط التعارف لتشمل أكثر من أربعة أعمال غنائية جمعت بينهما في آخر أيامها قبل المرض.

امتحان ليلى مراد

يقول حلمى بكر : أول تعارف بيني وبين السيدة ليلى مراد كان سببه كمال الطويل؛ لأنه كان مؤمنا بي، فكان من الموسيقيين الكبار الذين يعرفون كيف يجعلون أي ضيف جديد واحداً منهم ولا يشعر بالغربة، وعلى رأس هؤلاء الموسيقيين كان عبد الوهاب والموجي ومحمود الشريف، وقتها كنا نسجل ألحاناً لإذاعتي الكويت والبي بي سي، وكان المسئول عن هذه التسجيلات قد وعدني إن استطعت أن أقنع ليلى مراد بالغناء أن يمنحني خمسين جنيها، وكان هذا المبلغ كبيراً جداً في ذلك الوقت، وكلم هو ليلى مراد وأخذنا منها موعداً وعندما ذهبت فتح لي فطين عبد الوهاب وكان المنزل في شارع البرجاس بجاردن سيتي، ودخلت وجلست في الصالون، وبعد قليل دخل فطين ومعه «الكوردرفير» الذي كانت سرعته واحداً أو ثلاثة أرباع قبل أن يوجد الكاسيت فأخرجت العود وبدأت في العزف، ففوجئت بالفنانة ليلى مراد وهي تدخل علينا فتوقفت عن العزف وقالت لي إنه لو لم يكن اللحن قد أعجبها لما كانت قد دخلت، وعلمت منها أن أيام أحمد صدقي قال لها عبد الحليم نصر إنه سيرسل لها ملحناً جديداً فقالت «ما فيش مانع بس على شرط هو أن تستمع للألحان أولا» فإذا أعجبها اللحن فستغني وتخرج من صومعتها وكان هذا هو اختبار ليلى مراد حين تلتقي مواهب جديدة أو ملحنين لم يسبق لها التعاون معهم ؛ لأنها كانت في ذلك الوقت مؤمنة جدا

بالقصبجي ومحمد فوزي وعبد الوهاب والسنباطي، المهم أن أحمد صدقي دخل، وكان معه المطرب سيد إسماعيل وأخرج سيد إسماعيل العود وغنى «رايداك والنبي رايداك» وكانت ليلى مراد تسمع بالداخل وإذا خرجت فمعنى ذلك أن اللحن قد أعجبها وإذا لم تخرج فاللحن ليس على المستوى الذي تتمناه، المهم في وسط الأغنية فوجئا بليلى مراد تدخل عليهما وتستقبلهما وبدأت على الفور في حفظ اللحن الذي كان شهادة ميلاد لأحمد صدقي في ذلك الوقت. ويكمل : وحين تعرفت على ليلى مراد حكت لي هذه القصة بنفسها؛ أما حين تقدمت أنا ومعي لحني فدخلت عليَّ بعد عشر دقائق بالضبط وأبدت لي إعجابها ولكنها قالت إنها لا تعدني بغنائه ومع ذلك ظلّت تُغني معي إلى أن انتهينا وأشادت بي جدا وبصوتي، وكانت الأغنية تقول «ما تهجرنيش وخليني لحبك أعيش، أنا لو يوم تجافيني هاروح وما جيش وما تلومنيش» وكان عمري وقتها 21 سنة، وكنت قد تخرجت وعُيِّنت مدرسًا ولكني لم أتسلم عملي بعد، واتفقنا على موعد للبروفة وكانت الفرقة الماسية سعيدة جدا بحضور ليلى مراد بعد غياب طويل، كان موعدنا في التاسعة صباحاً، وذهبت أنا في التاسعة وعشر دقائق فوجدت ليلى مراد في انتظاري واعتذرت لها بشدة، وبدأنا البروفة، وبدأت تشعر بكيان اللحن وشخصيته التي تختلف تماما عن تلك الأشياء التي تعودت عليها، كان شيئا سابقاً عن عصره فغنت في البروفة وأبدعت. بعدها اقترحت عليها أن نحجز استديو وبالفعل ذهبنا إلى ستوديو مصر فون بالعتبة الذي كان جديداً ودخلنا الاستديو، وبدأت الفرقة في العزف ولكن ليلى مراد لم تغن، بل فوجئنا بها تقف صامتة ثم انهارت وجلست على الأرض وبكت، وقالت لي إنها لن تُغني وركبت سيارتها ورحلت وجاءني كمال الطويل وسألني عما فعلته فحكيت له ما حدث بالضبط وسعد رغم ذلك وقال لي إنني على طريق تسجيل الأغنية بصوت ليلى مراد، ولكن عليَّ بالصبر، وعاد وذكرني بالمكافأة التي وعدني بها، والحقيقة أنني لم أكن أهتم بجائزة الخمسين جنيها إلى هذه الدرجة وكل ما كان يعنيني حقا في هذه اللحظة هو أن ينزل اسمي مع ليلى مراد لأنه كان بالفعل حدثا عالميا، وعدت أكلم ليلى مراد فردت عليَّ برقة أكثر كعادتها وأكدت مرة أخرى أنها لن تغني، فاقترحت عليها أن تؤدي البروفة داخل الاستديو وإذا رغبت بعدها في الغناء فسنحدد يوما نسجل فيه، وكانت هذه الفكرة مني لعلاجها سيكولوجيا، بمعنى محاولة طمأنتها؛ لأنها كانت خجولة جدا ومترددة إلى أبعد الحدود . وبالفعل وافقت مع مهندس الاستديو على التسجيل دون أن نخبرها حتى لا تضطرب، وتتأثر حالتها النفسية، وبدأت تُغني وكنت أجعلها تكرر الغناء، وبعد أن انتهينا طلبت منها تحديد موعد للتسجيل فرفضت فعدت وطلبت منها أن تعطينا خمس دقائق من

وقتها الثمين لتستمع لصوت جديد، وظلت هي جالسة مع الفرقة حتى جهزت الشرائط وفجأة سمعت صوتها وهي تُغني فانهارت بالبكاء، وكان معنا صحفيون وقتها وسألها أحدهم عن رأيها في عودتها للغناء فقالت له إن حلمي بكر ذكرني بليلى مراد منذ عشرين عاما، وأخذت الجريدة هذا العنوان وجعلته افتتاحية للموضوع عن الموسيقار الذي ذكر ليلى مراد بنفسها منذ عشرين عاما، ومنذ ذلك التاريخ بدأ التعاون الفني بيننا ولحنت لها بعد ذلك ثلاث أغنيات منها «ما تهجرنيش وفكر تاني، وما يهمنيش»، وهذا شجع شقيقها منير فلحن لها أغنية كما لحن لها أحمد فؤاد وعادت لتعيش تجربة الغناء بنضج حتى جاءت واقعة برنامج «جديد في جديد» ، وطلبها بليغ حمدي ودخلت للتسجيل، ورفضت أن تستمع لصوتها وتركت الاستديو وأرسلت له إنذاراً حذرته فيه من إذاعة الأغنية، وظلت الأغنية عند بليغ ومنعت من الإذاعة، والحقيقة أنها كانت بالفعل قد وصلت لمرحلة كان لابد أن تتوقف عندها.

خامة صوت ليلى مراد

تعرف بالطبع أنهم لقبوا كوكب الشرق بلقب صاحبة الحنجرة الألماسية، أما عبد الوهاب فكان صاحب الحنجرة الذهبية، واختلفت عنهما ليلى مراد حيث أطلق عليها لقب صاحبة الحنجرة الفضية، فما رأيك في خامة صوت ليلى مراد؟

يكفي أن أقول لك إن أم كلثوم لم تهتز سوى من مطربتين هما ليلى مراد وأسمهان؛ لأن رنة صوتيهما كانت خطيرة ويصعب تواجدها في هذا الزمن، كان صوت ليلى مراد يجذب الأذن سواء في الأغنيات الحزينة أو المرحة، وعندما غنت أسمهان «إمتى هتعرف إمتى» كان أول من عانى من المشاكل هو القصبجي؛ لأنه صاحب الفضل في ظهور هاتين الموهبتين ونجاحهما، وكانت المرة الأولى التي تنجح فيها تجارب المطربتين مع القصبجي مثل أغنية «أنا قلبي دليلي» التي لحنها القصبجي والتي كانت حديث مصر في ذلك الوقت، خاصة أنها كانت بصوت ليلى مراد، فصوتا ليلى مراد وأسمهان من العلامات التي لا تنتهي وحتى بعد أن توفيتا لا يزالان يعيشان بيننا. فقد كان أهم ما يميزهما هو أن جرسهما أو رنة صوتهما كانت من المعادن النفيسة لذلك كان صوت ليلى لا ينتهي بمجرد انتهاء الأغنية بل يظل يرن في الأذن حتى بعد انتهاء الأغنية وهذه الظاهرة بكل أسف غير موجودة في الكثير من المطربين.

بصراحة من خلال تعاملك مع الفنانة ليلى مراد هل ترى أنها كانت خجلة أم موسوسة؟

الحقيقة هي كانت خجلة ومع ذلك كانت ذكية جدا وتفهم أدواتها جيداً لكن الخجل كان مشكلة حياتها، وهذا الخجل تأصل عندها لسببين أولهما نشأتها وتربيتها المحافظة ثم زواجها من أنور وجدي، فلقد دفعتها التربية إلى الانطواء والميل إلى العزلة والوحدة بعيداً عن الناس؛ أما حياتها مع أنور وجدي فكانت ديكتاتورية، كان هو يتحكم في كل شيء حولها وكانت هي لا تملك أن تعارضه، تعمل معه بدون أجر لدرجة أنها كانت تتصرف بسلبية تامة مثل الدمية يحركها كيفما يشاء، ولهذا كانت هناك ثورة بداخلها انفجرت فجأة حين تكثف الشعور بقلة الحيلة والاضطهاد، وهذا خلق بداخلها عقدة الخجل لدرجة أنها في آخر حفل غنت فيه وواجهت الجمهور كانت في شدة الخجل والكسوف، وكان أنور وجدي خلفها يمليها الكلام وهذا الشريط موجود بالإذاعة حتى يومنا هذا.

ولكنها فيما بعد تجاوزت هذه الحالة وصارت متحدثة لبقة .

هي شعرت بقيمة كل شيء سينمائيا أو غنائيا، حينما تحررت وتزوجت من فطين عبد الوهاب بدأت تعيش عالم ليلى مراد سواء كفنانة أو كأم، وبدأت تعيش إحساس المرأة الناضجة والفنانة المتمكنة والزوجة الهادئة والأم الحنون لابنيها أشرف وزكي، كانت هذه الأحاسيس الحلوة مسلوبة منها قبل ذلك، خاصة إحساس الأمومة، فليلى مراد كانت متهمة بأنها عاقر لا تنجب فأعاد لها إنجاب أشرف وزكي ثقتها بنفسها، جاءت ليلى مراد عند خط معين وتوقفت لأنها كانت قد اشتركت في ثلاث أو أربع تجارب قبل أن تعتزل وهي «سيدة القطار والحبيب المجهول والحياة الحب»، وهذه التجارب بكل أسف لم تلق النجاح المنتظر مما جعلها تتقوقع داخل نفسها وتعتزل السينما والغناء، حتى أن رمسيس نجيب كان قد فكر في أن يسند اليها دور أم عبد الحليم حافظ في قصة فيلم اسمه « دعني لولدي» فطلبت عمل اختبار أولا، وبعد أن رأت الاختبار يشاع أنها اعتذرت عن عدم القيام بالدور، ومن المصادفات العجيبة في حياة ليلى مراد أن «تيست» أدخلها عالم الفن من أوسع أبوابه، و«تيست» آخر أخرجها منه بلا رجعة.

عبد الوهاب كان مستشارها الفني

يشاع أن ليلى مراد لم تكن ذات طابع اجتماعي، كانت لا تثق في أحد بسرعة وتأخذ وقتا طويلاً لكي تعطي أحدًا الأمان، فهل هذا صحيح ؟

«إطلاقاً كانت تلقائية بطبيعتها. يجوز أن الظروف التي مرت بها تكون قد جعلتها أكثر حرصاً وحذرا في تعاملاتها وخاصة في أيامها الأخيرة، وهذا شيء طبيعي جدا من الممكن

أن يحدث لأي إنسان عاش وتألم مثلما عاشت هي وتألمت، ومع ذلك حين عرضت عليها الاشتراك في أولى تجاربي الموسيقية لم تعترض بل شجعتني وشعرت معي بأنها ولدت من جديد، وعليه بدأت تستعيد عزيمتها وتفاؤلها وأملها في الحياة، كما اكتشفت مع مرور الوقت كيف تدير نفسها بلا إدارة، وهذا يبين كيف كانت تستشف الناس وتثق بهم رغم أنها كانت تتحرك بتلقائية وبساطة، والحقيقة أن الزمان الذي ضم ليلى مراد وغيرها من جيل العظماء لن يتكرر، وهناك فرق شاسع بينه وبين السوء الذي نعيش فيه الآن.

ألم يكن لها مستشارون فنيون ؟

مستشارها الفني الوحيد كان عبد الوهاب، كانت تثق فيه وتستشيره في كل صغيرة وكبيرة، وكانت هذه من ضمن الأزمات التي كان أنور وجدي يستغلها لصالحه، كان يثور ويهدد ويتوعد بسبب علاقتها الحميمة بعبد الوهاب، وبمناسبة ذكر محمد عبد الوهاب أذكر أنه اتصل بي ذات يوم وسألني عن معاشها فقلت له إنها ليست مقيدة في جدول القيد.

وكيف لا تكون ليلى مراد على رأس جدول القيد؟

وعليه صدر قرار بحصولها على معاش قدره مائتا جنيه وكان هذا الرقم كبيراً جداً بالنسبة للمعاشات في ذلك الوقت، وحينما ذهب أحمد فؤاد حسن إلى منزل عبد الوهاب وسلمه المبلغ غضب جداً ولكننا أقنعناه بأننا قمنا بإجراء كسرنا فيه قواعد وقوانين النقابة من أجل ليلى مراد، والحقيقة أنه يبدو أنها كانت في أشد الحاجة لهذا المبلغ لأنها – على ما أتذكر– عاشت في آخر أيامها في حجرة بداخل بيتها في القصر العينى، وأنا لا أريد الاستفاضة في مثل هذا الكلام؛ لأنها عانت من إساءة الجميع حتى أقرب الناس لها.

الملاك المغرد

بم تشعر الآن، ونحن نختم حديثنا عن تجربتك مع ليلى مراد الفنانة والإنسانة ؟

وأنا أتكلم الآن عن ليلى مراد أشعر بأن اسطوانة دارت وأني أستمع من خلالها لصوت ليلى مراد، وبالتالي لا أتكلم من الذاكرة بل أتكلم وصوت ليلى مراد يرن في أذني، وصورتها تتجسد أمامي، وهذا يعني أنها لم تمت وأنها شريكة لنا في حوارنا، وتمليني الإجابة عن كل سؤال يوجه لي وأنا أجيب من خلالها لأني لا أحاول إعطاءها أكثر مما تستحقه، ولا أبذل جهداً بالفعل في الكلام عن ليلى مراد، وأشكرك على هذه التذكرة العطرة يا أستاذة حنان.

من ليلى مراد إلى محمد سلطان

ميعادنا بكرة
الساعة خمسة

هذا الموعد الذي تحدد ذات يوم ومع ذلك ظل معلقاً لم يتحقق. قصة التعارف بينهما بدأت صدفة وانتهت صدفة أيضا.

الفنانة ليلى مراد والملحن محمد سلطان وموعد تحدد ولم يتم.

محمد سلطان : أنا عاشق لأغاني ليلى مراد، مرتبط بها جداً من صغري وحين كبرت وشعرت في فترة المراهقة بأول دقة قلب سحرتني أغانيها وبالتحديد أغنية «الحب جميل للي عايش فيه»، وفى يوم وليلة أصبحت ليلى مراد شيئا مهما جدا في حياتي، ولم أكن أعلم أن القدر سوف يجمعنا في عمل مشترك، فأول مرة عملت مع ليلى مراد كان في إذاعة الكويت، وكانت أغنية من إنتاج الفنان أحمد فؤاد حسن، ولم تكن للإذاعة المصرية، كما أنني لحنت لها حوالي أربع أو خمس أغنيات لا تزال موجودة في إذاعة الكويت حتى الآن، وأنا أسعى للحصول عليها لإذاعتها في مصر.

ويكمل : أما عن كيفية التعارف، فلقد تم كما تتعارف أية مطربة بأي ملحن، فكما سبق وقلت أنا كنت عاشقاً لأغانيها ومتيما بها وكانت هي تستمع لألحاني ويروق لها بعضها وهي كما هي إنسانة ظريفة ورقيقة صوتها نغم حتى في الكلام لا تشعرين بأنها تتكلم بل تُغني، والحقيقة أنه منذ ذلك التاريخ وحتى قبل وفاتها لم تنقطع العلاقة بيننا وأكاد أكون أنا الوحيد الذي كنت أكلمها باستمرار في أيامها الأخيرة، لا لشيء إلا لكي أطمئن عليها، والمضحك أن أرقام تليفوناتنا قريبة جداً من بعض، ففى أحيان كثيرة كانت هي تتلقى مكالمات لي أو أتلقى مكالمات لها فنتصل ببعضنا ونضحك على تلك المفارقات، هذا غير أننا كنا جيرانا نسكن إلى جانب بعضنا البعض، وأحياناً كثيرة نتقابل عند السوبر ماركت مصادفة وأنا أشترى بعض لوازم المنزل، وأجدها هناك أيضا بكل عظمتها وبساطتها تشتري الأشياء بنفسها دون مساعدة من أحد.

قرأت مرة عبارة شديدة الجمال جاءت على لسان رفيقة مشوارك فايزة أحمد؛ إذ قالت ذات يوم

للفنانة ليلى مراد حين تقابلتا مصادفة قالت بالحرف الواحد « يا مدام ليلى أغانيك الجميلة تجعل الإذاعة «شيك» ...

هذا صحيح فايزة – رحمها الله – كانت تهوى سماع أغنيات ليلى مراد وتحبها وتقدرها وتحترمها كإنسانة، وكثيراً ما اجتمعنا أنا وفايزة وليلى في مناسبات اجتماعية عديدة، وخلالها نتجاذب الحديث عن الفن زمان والفن الآن، وكيف أن ليلى مراد وفايزة أحمد كانتا تتبادلان الإعجاب بدفء ورقة إحساس، وأذكر أن ليلى مراد كانت دائما من أول المهنئين لفايزة حين تُغني أغنية جديدة في حفلة ما سواء منقولة على الهواء مباشرة أو مسجلة هذا فضلاً عن أنها كانت تعطيها خلاصة النصائح والخبرة حتى تستمر فايزة على خطها التصاعدي.

هل يمكنك أن تصف لي صورة ليلى مراد أثناء البروفات داخل الاستديو وهي تحفظ لحناً من ألحانك؟

الحقيقة أن شخصيتها كفنانة لم تكن تنفصل عن شخصيتها كإنسانة، فلقد كانت سريعة الملاحظة والحفظ وذكية، لماحة، من النادر أن تخطئ أمام الميكرفون لدرجة أنه كان من الصعب أن نجد ما نصلحه لها.

هل كانت تتشابه مع المطربين الذين يطالبون بالتعديلات ويعيدون ويزيدون في كل كبيرة وصغيرة؟

أبداً كانت أبسط من ذلك بكثير فلم يحدث أي موقف معي من هذا النوع ولم تطلب مني أبداً أبداً أن أعدل لها في أي لحن بل كانت تحفظه فوراً دون أي اعتراض، رغم أن الكثير من المطربين يطالبون دائما بإجراء تعديل، لكن ذلك حدث أكثر من مرة حتى فايزة نفسها كانت تطالب ببعض التعديلات التي تتناسب مع صوتها وإحساسها، أما ليلى مراد فلم يحدث منها أبداً ذلك بل كانت تعجب باللحن فوراً وتحفظه.

ما هي إذن قصة اللحن الذي لم يتم أو بمعنى آخر تم من جانبك، ولم يتم من جانبها رغم تحديد ساعة الصفر لتسجيله وكان مثل الأغنية التي تقول ميعادنا بكرة الساعة خمسة، فكان الميعاد بالفعل الساعة 5 ؟

هذا صحيح فلقد لحنت لها أغنية بعد أن اعتزلت بكثير وتقريبا قبل وفاتها بثلاث سنوات، وبعد ذلك بدأنا البروفات وحفظتها ووصلنا للحظة التسجيل وترددت كعادتها، وقالت إنها لن تستطيع غناء هذه الأغنية، فصوتها صار أكبر سنا وحجماً عن الماضي وجمهور المستمعين سوف يلاحظون الفرق ولهذا فهي تتمنى أن تحافظ على صورة صوتها وملامحها عند الناس،

وتظل كما أحبوها، وعبثا حاولت إقناعها لأننا تدربنا كثيراً وأجرينا البروفات أكثر من مرة وأن الصوت ليس فيه أية مشكلة بل هو في منتهى الروعة، وليس هناك أحسن من هذا، لكنها أصرت فرضخت للأمر الواقع ولم أستطع أن أعطي اللحن لمخلوق بعد ليلى مراد.

وما اسم هذا اللحن المجهول الذي لم يتم ؟

اسمه «فاكر ولا نسيت» ولم يغنها أحد من بعدها، أولا لأني أحترم الفنان صاحب الأغنية جدا حتى لو لم يغنها، ثانياً لأني من النوع الذي يفصِّل اللحن على الصوت. والشخصية يكون لها دور كبير جداً في صياغة اللحن وأيضا لونه وأبعاد صوته، فلا أستطيع أن آخذ لحنا وضعته لمطرب وأعطيه لمطرب آخر مهما تعبت فيه، ولذلك فمن المستحيل أن يأتي لي مطرب ويجد لحنا جاهزاً له.

ويضيف : قبل أن أقوم بالتلحين لابد وأن أعلم لمن ألحن، فكل صوت وله مساحة وشخصية ولابد أن أحدد المساحة الجميلة في صوت المطرب وأفصِّل له اللحن على ذلك.

ماذا عن إحساسك بالفترة التي كنت تلحن فيها لليلى مراد ؟

هذا الكلام أعاد لي ذكرى أيام شبابي، أيام كنت ملحناً جديداً ذكرني بمرحلة الكفاح الأولى والانتشار والسعي والاجتهاد لتقديم أروع الألحان.

هل الفارق بين أيامنا الحالية والفترة التي نتحدث عنها كبير؟ أو بعبارة أخرى هل تفتقد المطربين القدامى وأنغامهم الأصيلة أم أن لكل عصر حلاوته وشخصيته ؟

طبعاً لكل عصر مذاقه الخاص وكيانه المستقل، ولكنني بالطبع أفتقد الأصوات والنغم الجميل، فتلك الفنانة لن تعوض ولن يأتي مثلها فلا يوجد مثيل لأم كلثوم وعبد الوهاب وعبد الحليم وليلى مراد وفايزة أحمد.

« من القلب للقلب رسول»

ورسالة دكتوراه

بطاقة تعارف:

الاسم : جيهان أحمد الناصر

المهنة : أستاذة بالمعهد العالي للموسيقى العربية قسم أصوات حاصلة على درجة الدكتوراه. تقدير امتياز. تخصص عام .

موضوع رسالة الدكتوراه : الأغنية السينمائية عند ليلى مراد وتحديداً أسلوب أداء ليلى مراد للأغنية المتصلة بحدث درامي داخل الفيلم.

صدقيني يا أميرة القلوب فرسول الحب الذي غنيت له حفظ الرسالة واضعاً إياها تحت جناحيه وطاف يبحث عن صاحبتها حتى وجدها في انتظاره على باب معهد الموسيقى العربية، وما أن تسلمتها إلا وعقدت العزم على أن تكون ليلى مراد موضوع رسالتها.

من قلب ليلى مراد إلى قلب جيهان ناصر رسول ورسالة دكتوراه حدثيني عنها ؟

ليلى مراد هي ملكة الأغنية هي التي صنعت شكلا جديداً أو متطوراً للأغنية السينمائية، ولا أحد ينكر أن الذي صنع أساس الأغنية السينيمائية هو محمد عبد الوهاب وذلك في أول أفلامه «يحيا الحب». هذه كانت البداية ومع ذلك كانت البداية مرتبطة بحالة المطرب وليس بالحدث. مجرد أغنية طويلة خالية من الرتم السريع المتحرك وهذا ليس تقليلاً من شأن عبد الوهاب ولكنها الحقيقة فالوضع تغير حين جاءت ليلى مراد، أصبحت الغنوة مرتبطة بالحالة وبالموقف أيضا وبشكل أسرع مع إعطاء معانٍ للأحداث أكثر، فمن الممكن بعد أن أنتهي من سماع الأغنية أن أكون قد وصلت إلى حالتها، وعليه أستشف ما الذي تفكر فيه وما الذي سيحدث في المشهد القادم وكأن الأغنية عبارة عن مشهد منفرد وحده يقودني إلى جزء من أحداث الدراما نفسها، ويشترك بالطبع في صنع هذه الملحمة الغنائية الدرامية كل من الملحن والمؤلف والمخرج ثم تتولى المطربة عجلة القيادة بطريقتها غير العادية، وأنا هنا أتحدث تحديداً عن ليلى مراد فقد أعطاها الله حظاً كبيراً جداً في لقائها المبكر بالموسيقار محمد عبد الوهاب والذي وضع أقدامها على أول سلم ألحانه فصعدت إلى عرش الغناء

العربي، ومن اللطيف أنه لم يحتكرها بل ترك لها مساحة التعامل الحر مع الموسيقيين الآخرين فعملت مع محمود الشريف وأحمد صدقي ومحمد فوزي إضافة إلى المساحة الكبيرة التي أعطاها لها في التمثيل أمامه ومنافسته هو في الغناء والطرب، فلو كانت تتوافر فيه صفة الأنانية لكان انفرد بالدور وقلل تواجدها؛ لكي يكون هو البطل والبلبل الأوحد لكنه لم يفعل ذلك وتصرف بعظمة وتواضع الأستاذ والمعلم.

تحليل أغاني ليلى مراد

هل قمت بدراسة وتحليل أغانيها في كل أفلامها وهل لي أن أتعرف على الطريقة التي تحللين بها الأغاني . هل تخضع لتقييم أو لتقسيم مثلا لأجزاء ؟

أولا : رسالتي تشمل حياتها من بداية فترة الطرب وكل الظروف التي صاحبت هذه المرحلة وكيف تأثرت بالوالد المطرب وجميع أصدقائه الذين كانوا يقيمون بصفة دائمة عندهم في حدائق القبة والأغاني التي كانت تسمعها وهي صغيرة وتأثيرها عليها وتأثرها بها، والمهم لم أستطع أن آخذ عينة دراسة من أول فيلم فلم تكن ليلى مراد مجهزة تماما من الناحية الفنية للوقوف أمام الكاميرا، ولكن عالجت الأمر وأخذتها صوتيا فقط من جهة قوة الصوت ومدى استعداده، والحقيقة أن من العوامل التي ساعدت ليلى مراد على النجاح والتألق هو خامة صوتها الطبيعي الذي خلقه الله صافيًا، فهو كما قلت صوت طبيعي انسيابي لامع جداً وهي معه تُغني كل المستويات بنفس البراعة كما تُغني أي لون من الغناء، فقط ساعدها صوتها على غناء القصائد والموشحات والمونولوج والطقطوقة والديالوج بمنتهى التمكن والاقتدار، إضافة إلى القبول الذي وهبه الله لها ولم يلمع أحد هذا اللمعان والبريق في ذلك الوقت مثلما لمعت وتألقت ليلى مراد.

وماذا عن العينة الأساسية التي حللتها من أغنيات ليلى مراد وتعتبر هي موضوع الرسالة تحديداً ؟

العينة الأساسية أخذتها من بعض أغنياتها الناجحة مثل «قلبي دليلي» والتي حققت نجاحاً رائعًا وأداء الكورال الذي لم يكن متواجداً في ذلك الوقت بل كان سابقاً لعصره، أيضا الغناء الأوبرالي كان غريبًا وجديدًا، كما أخذت دويتو « شحات الغرام» فحتى الآن يحقق هذا الدويتو نجاحاً رائعا فضلا عن أغنية « سلم علي»، وكان الجميل في هذه الأغنية أن توافق ليلى مراد على أن تُغني مطربة أخرى قبلها الجزء الأول ثم تدخل هي بالكوبليهين الأخيرين باللهجة الصعيدية.

هل من الممكن أن تشرحي لي أكثر كيف تتعاملين مع العينات المأخوذة من الغنوة .؟

أنا أدون الغنوة في النوته الموسيقية ثم أبدأ في تحليلها وأحدد نوع قالبها ثم أعرف مَنْ لحَّنها ومَنْ ألَّفها وأعلى نغمة وصلت ليلى مراد لها وأغلظ نغمة ونوع الإيقاع وما هي اللازمة الموسيقية والآلات التي عزفتها وأدخل على الجملة الأولى، وأكتب المقطع نفسه ثم أبدأ في تحليله وتحديد كيفية غنائه وكيف نطقت الحروف وكيف أخرجتها والحلى الموسيقية التي استخدمتها في صوتها وكل حلية تسمى باسم، وأفسر كل جملة وكيف قالتها وكيف كان أسلوب أدائها وهل كان سطحيا أو مواكباً للحدث الدرامي ومعنى الكلمة وكل هذه الحيثيات آخذها في اعتباري.

عينة قلبي دليلى تحت الدراسة

أعطنى مثلا محدداً على ما تقولين ؟

لو أخذنا مثلا أغنية « قلبي دليلي» تلحين: محمد القصبجي، تأليف أبو السعود الأبياري، القالب اسمه الفورم طقطوقة المقام مواداليتي عجم (لاط ـ حصار) الإيقاع فالس، السرعة تمبو موديراتو. – الميزان 4/ 3 حدود اللحن المغنى من درجة دو 2 بما معناه الوسطى تضيف الجملة الغنائية الأولى من « م – 1» إلى « م26 –» وهو يمثل المقطع (أنا قلبي دليلي قال لي ها تحبي ودايما يحكي لي وبصدق قلبي).

1 – تبدأ هذه الجملة بلازمة موسيقية قصيرة تعتمد على إبراز الضغوط الرئيسة لإيقاع الفالس المصاغ في اللحن.

2 – يقوم الكورال بأداء المذهب إلى جانب صوت ليلى مراد، ويظهر توحيدهم للأداء في توحيد أماكن الأنفاس والتزامهم بنفس الأسلوب في أداء الحليات ويعد المذهب في هذه الأغنية استرسالا رائعا يقوم الكورال بالدور الرئيس فيه. وبالنسبة إلى الجملة الثانية من م 27 إلى م 47 وهو مقطع الآهات يقوم الكورال بأداء هذه الجملة باستخدام المقطع آه وذلك بمصاحبة الفرقة الموسيقية، وقد تألق الكورال في هذه الجملة باستخدامهم الأسلوب الأوبرالي والذي يعتمد على الرنين الرأسي الذي يسمح للمغني بالانتقال لمنطقة الصوت المستعار واجتياز طبقات أعلى ثم تنتهي الجملة باللازمة الإيقاعية التي بدأ بها اللحن. الجملة الثالثة من م 48 إلى م 58 وهي المقطع الذي يقول (حبُّوبي معايا من قبل ما أشوفه).

1 – أدت ليلى مراد هذا المقطع في منطقة رنين الصدر بأسلوب بسيط خالٍ من الحليات ومطابق لمفردات اللحن.

2 – استخدمت حرف الحاء الذي لا وجود له في هذا الجزء الأول من المقطع وتمثل هذا

في جملة (حبوبي) مما زاد الكلمة إحساسًا نابعًا من السمة الرئيسة لهذا الحرف.

3 – كما استخدمت حلية لحرف الميم من كلمة ما أشوفه ثم قامت الفرقة بأداء اللازمة الموسيقية في أربعة موازير؛ تشمل الدرجات الصوتية التي أتمت بها ليلى مراد في هذا المقطع.

ملحوظة :

الصوت يكتب بشكل الكروش يقطعه خط مستعرض يسبق الصوت الأساس ويؤدى بمنتهى السرعة ويأخذ مدته الزمنية من زمن الصوت الأساس، ويركز عليه وأحياناً تكون الحلية من صوتين أو ثلاثة وكل منها يُؤدى في زمن (ألتربل كروش). الجملة الخامسة من النوار الثالث م 67 إلى م 79 وهو المقطع الذي يمثل (شايفاه آه في خيالى سمعاه آه بيقولي).

أدت ليلى مراد هذا المقطع في منطقة الرنين الوسطى، ومكانها تجويف الفم والحلق ويرجع هذا لمنطقة الطبقة الوسطى التي صيغ منها لحن هذا المقطع.

1 – قامت ليلى مراد بتأخير كلمة آه زمن كروش 1 في الجزء الأول من المقطع مما أوحى بتنهيدة داخلية أبرزت معنى الكلمة ثم أدت الجزء الثاني من المقطع دون تأخير كلمة الآه وبنفس أسلوب وأداء الجزء الأول. الجملة السادسة من النوار الأخير م 79 إلى م 91 وهو المقطع الذي يمثل (يا حياتي تعالي تعالي تعالي . يا حياتي تعالي تعالي تعالي) أدت ليلى مراد هذا المقطع في منطقة الرنين الوسطى، ومكانها تجويف الفم والحلق، ويظهر هذا بوضوح في حرف الألف والعين لكلمتي يا حياتي وتعالى.

2 – استخدمت ليلى مراد ثلاثة أشكال لأداء كلمة تعالى ففي المرة الأولى جاءت قصيرة ثم في المرة الثانية زودتها بحلية على ضغوط الكلمة الثلاث وربطتها بالمرة الثالثة مستخدمة في ذلك حلية ثم استخدمت حلية لحرف المد ألف من نفس الكلمة.

ملحوظة :

تستخدم هذه الحلية لأداء الصوت البشري من نغمة لأخرى بعيدة مرتفعة أو منخفضة مع أداء النغمات التي بينها سليمة بليونة.

نوع الحليات ومعناها التي هي عبارة عن أداء نغمتين متجاورتين بالتعاقب السريع، ويشار إليها اختصاراً بالحرفين **tr** ويتبعهما خط متعرج يؤديان بدءًا بالنغمة الأساسية، وتليها النغمة الثانية صعوداً في حدود زمن الدرجة الأساسية.

الجملة الثامنة من النوار الثاني ـ م 98 منتصف النوار الأول إلى منتصف النوار الأول م

104 أي من النوار الثاني 98 إلى منتصف النوار الأول م 104 أدت ليلى مراد هذا المقطع في منطقتي رنين تجويف الفم والحلق ورنين الخيشوم، فقد أظهرت منطقة رنين تجويف الحلق في إظهارها حرف الحاء ومكانه وسط الحلق لكلمة الحب، كما أظهرت أيضا حرف الهاء ومكانه أقصى الحلق لكلمة غنوة وهي الجزء الثاني من المقطع استخدمت بأسلوب تأخير غنائها، وأداء الفرقة أظهر خصائص الإيقاع الذي تم الانتقال إليه في أول هذا المقطع وتمثل هذا في حرف المد الألف في كلمة أنغام وتعلق جيهان على البحث فتقول :

أنا أرى أن نجاح هذا العمل يرجع إلى عدة عناصر أولها أسلوب التلحين الذي تناوله محمد القصبجي وإسناد الكورال اللازمة الأساسية في اللحن والتي تقود المؤدي للكوبليه في إيقاع الفالس المصاغ فيه اللحن وأسلوب الغناء الأوبرالي كما أن للمؤلف أبو السعود الإبياري الأثر الكبير في إنجاح هذا العمل حيث بساطة الكلمة وقربها من أذن المستمع وتفهمه لما يتطلبه الحدث السينمائي من خلال الأغنية.

كما أرى أن من أهم العناصر التي عملت على إنجاح هذا العمل هو صوت ليلى مراد الذي يمتاز بعذوبة وانسيابية ومقدرة على التلوين وفقًا لما يتطلبه كل من اللحن والكلمات لخدمة الحدث السينمائي.

وجدير بالذكر أن الذي يشرف على الرسالة هي الأستاذة رتيبة الحفناوي والأستاذ الدكتور شوقي محمد علي.

تضارب المعلومات

أثناء بحثك عن ليلى مراد هل وجدت معلومات متضاربة نوعا ما وكيف استطعت التأكد منها حتى لا تؤثر على سير وسلامة الرسالة ؟

في الحقيقة كان هناك تضارب كبير في التواريخ وبالتحديد تواريخ الأفلام وكنت في أمس الحاجة لأن أحصل على حقيقة هذه التواريخ منها هي شخصياً، كما كنت أود أن أسجل معها عن انطباعاتها الشخصية وإحساسها بالأغاني والكلمات ومن أهم الأسئلة التي حاولت أن أحصل فيها على رد هي :

هل كانت تسجل الأغنية أولا ثم أثناء تصويرها تقوم بتحريك شفتيها أم تشدو بها من جديد، وكأنها تسجلها مرة أخرى، وهل كانت تغلق فمها كما كانت تغلقه على الشاشة فالصوت الذي كنت أسمعه صوت مفتوح، ولابد أن يكون الفم مفتوحا لتأخذ الأغنية كامل مساحتها، ولكن عندما كنت أراها على الشاشة كنت أجد أسنانها مغلقة وهي تُغني فما

السبب في ذلك؟ كل هذه الأشياء كنت أود أعرفها؛ لأنها بالطبع كانت ستفيدني في تحليلي عن مخارج الألفاظ ومع ذلك اعتمدت على نفسي وعلى أذني فقط وتأكدت أنها كانت تفتح فمها أثناء التسجيل وتغلقه أثناء التصوير وهذا من شدة خجلها.

هل حاولت الاتصال بها ؟

حاولت كثيراً وردت عليَّ في إحدى المرات بنفسها وقالت لي ليلى نائمة وتعبانة فقلت لها ألف سلامة، ولكني أعلم أن التي أحدثها الآن هي الفنانة ليلى مراد، وأكدت لها أنني لست غاضبة من ذلك بل أحترم خصوصياتها، وعدت وقلت لها إن هذه أول رسالة عنها وطلبت مساعدتها لكي تخرج على أكمل وجه فوعدتني بمساعدتي، وشعرت بأني أحرجها عندما اكتشفت أنها هي التي تحدثني في التليفون ورغم أنها حاولت الإنكار تركتها تستريح وعدت للاتصال بعد فترة ، وفي كل مرة يأتيني رد بأنها مسافرة أو مريضة أو نائمة وفي آخر مرة قررت أن أراها وقلت إني لست صحفية أو مذيعة وليس لي أي علاقة بالمجال الإعلامي سوى أني أحضِّر رسالة ماجستير عن الأغنية السينمائية عن ليلى مراد، فوعدتني مرة أخرى بأنها سترحب بى فور شفائها، ولكنها بكل أسف رحلت عن دنيانا قبل أن أراها رؤى العين.

ومتى حدث ذلك تحديداً ؟

كان ذلك منذ سنوات لأنني بكل أسف تعطلت أكثر من مرة فتأخرت في تقديم وعرض الرسالة، والسبب يعود إلى أنني كلما أوشِك على الانتهاء منها أجد أن ليلى مراد لابد وأن يكتب عنها أكثر من ذلك بكثير فأعود وأعدل وأضيف وأبحث من جديد عن خيوط جديدة، وهذا إلى جانب سفري إلى الولايات المتحدة وأيضاً الدكتورة رتيبة الحفني هي المشرفة على الرسالة وهي إنسانة تدقق في كل تفصيلة، ويجب أن يتم تغطية كل الجوانب حتى لا نغفل عن عنصر.

فبعد وفاتها بشهور حاولت الاتصال بأولادها أشرف وزكي رغبة في الحصول على معلومات جديدة تفيد الرسالة من الناحية الفنية فلم أستطع الحصول على أي موعد؛ لانشغالهما الدائم ولو كنت قد قابلتها هي شخصياً كنت سأحصل وأستفيد منها أكثر لكن القدر كان أقوى وأسرع مني.

وماذا عن المعلومات التي جمعتها ، هل أنت راضية عنها؟

فى الحقيقة أنا أعتبر نفسي مرجعًا بالنسبة لأية معلومة فنية عن ليلى مراد على اعتبار أنني صاحبة رسالة علمية من أكاديمية الفنون والمفروض أنني أبحث وأستقصي عن كل المراجع

التي تحدثت عن تاريخ أغانيها وأفلامها حتى أصل للحقيقة التي أبحث عنها؛ فمثلاً هناك بعض الأغاني رجعت فيها لجمعية المؤلفين والملحنين؛ لأنهم الذين يمنحون المطربين حق الأداء، وبالتالي لجأت إليهم فهم يعتبرون الأكثر دقة كما أنني لجأت للإذاعة المصرية والتليفزيون، وحصلت على أسماء الأغاني الصحيحة كما حصلت على عدد دقائق كل أغنية على حدة على اعتبار أنه لو أراد أي موسيقار عرض أية أغنية لها وهو لا يعرف توقيتها أو كم ستستغرق عملية العرض يعود إلى رسالتي، فأنا لديَّ إحصائية لكل أغنية ومدتها بالدقيقة والثانية ومؤلفها وملحنها وموزعها إن وجد وعدد الأغنيات التي لحنها لها القصبجي تحديداً وعلاقته بها وماذا أضاف لصوتها وأعماله لها، وأيضاً السنباطي وعبدالوهاب ومحمد فوزي الذي أثر فيها جداً وجعلها رشيقة في غنائها بالإضافة إلى داود حسني الذي تألقت في البداية على يده والمخرج محمد كريم الذي صنع لها شكلاً في السينما.

هل لي أن أطَّلِع من خلال رسالتك على معلومات أخرى؟

أعتذر عن عدم تحقيق ذلك، اغفري لي، فهذه رسالتي وكما تبحثين أنت عن أسرار ليلى مراد أبحث أنا عن تاريخها الغنائي ولن أبوح بأكثر من ذلك إلا بعد أن تنشر رسالتي وأناقشها.

obeikandl.com

من أجر ٣٠٠ جنيه إلى ألف جنيه للفيلم

اتمخطري ياخيل

على شاشة السينما

« ياعاشقين والنبي تحكو لي..
إيه أوصاف الحب قولوا لي
عارفاه ومش فاهماه..
قولوا لي فين ألقاه وفين ألاقي هواه؟!

هكذا ظلت ليلى مراد تبحث عن الحب الحقيقي الدافئ الحنون طوال سنوات عمرها فلم تجده، غنت له وحرمت منه، أعطت له الأمان فغدر بها في عقر قلبها، سلمت له مفتاح الحياة فسلب منها إكسير الحياة، بقي الفن هو الحب الحقيقي في حياتها التي سخرت من أجله المشاعر فلم يبخل عليها بالمجد والشهرة والمال.

في تاريخ السينما المصرية لم يسبق أن حملت عناوين الأفلام اسم ممثلة إلا ليلى مراد، فهذه السندريللا التي عاشت أسطورة ورحلت عن الفن والأضواء قبل رحيلها الفعلي بخمسة وثلاثين عاماً لا تزال حتى هذه اللحظة التي أكتب فيها هذه السطور عالقة في أذهاننا، خالدة في قلوبنا، نتلهف على رؤيتها وهي تتمخطر وتتمايل مع الخيل وترقص مع عرايس الليل.

إن سجل تاريخ ليلى مراد الفني مليء بالروائع السينمائية التي شاركها فيها أعظم الفنانين والكتاب والمخرجين، كما صاغ أغانيها خيرة المؤلفين والملحنين والموزعين فما من عمل شاركت فيه ليلى مراد إلا وكان كامل الأوصاف، ومثلما كان الغناء نقطة الانطلاق التي اخترقت من خلالها طبول الآذان لتصل إلى تلابيب وجدان كل متذوق للطرب الراقي الأصيل، كان التمثيل نقطة الانطلاق الثانية والتي فتحت أمامها أبواب المجد والشهرة والمال على مصراعيها.

فيلم ثومة وعبدالوهاب

ومثلما جاءت فرصة الغناء مصادفة عن طريق الأستاذ محمد عبدالوهاب جاءت أيضاً بطولة أول فيلم سينمائي لليلى مراد على يده، وبسبب فشل إقناع السيدة أم كلثوم بالوقوف أمامه كبطلة سينمائية، حيث إنه منذ عرض فيلم « الوردة البيضاء»، أول أفلام محمد عبدالوهاب في ديسمبر عام 1933، وأصبح للفيلم الغنائي في مصر سوق شديد الرواج، كان قنبلة اهتز لها الوسط الفني اهتزازاً، كان حدثاً ضخماً شجع عبدالوهاب على تكرار التجربة مرة أخرى، وحدث بالفعل حين قدم تجربته السينمائية الثانية «دموع الحب» عام 1935، وشاركته البطولة النسائية المطربة رخيمة الصوت حلوة الأداء نجاة علي، كان هذا الفيلم مأخوذاً عن الرواية الفرنسية الشهيرة «مجدولين» أو «تحت ظلال الزيزفون» ، وتم نقلها إلى العربية فتحمس لها عبدالوهاب وحولها إلى فيلم، وفى تلك السنة دخلت أيضاً المطربة التي تربعت على عرش الغناء في مصر والعالم العربى، أم كلثوم، مجال البطولة الغنائية على الشاشة فسعى المخرج محمد كريم إلى أن يكون الفيلم الثالث حدثاً يجمع بين قمتي الغناء في الشرق وهما أم كلثوم وعبدالوهاب، واختمرت الفكرة وتم عرضها على أم كلثوم ولكن الدخلاء سارعوا بوضع العراقيل والعثرات أمام محمد كريم، وأشاعوا التوجس والشك في نفس أم كلثوم من ناحية عبدالوهاب على اعتبار أنها ستفقد الكثير لو ظهرت بجانبه، فقد ينفرد هو بالدور والمساحة والألحان ويترك لها الفتات، وعليه رفضت أم كلثوم رفضاً باتاً وقاطعاً وفشلت الفكرة بل وماتت إلى الأبد.

وكانت هذه هي فرصة ليلى مراد الذهبية التي جاءتها على طبق من ذهب حين وصلت إلى عبدالوهاب أخبار نجاحاتها المتواصلة في الحفلات العامة والحفلات الإذاعية أيام الثلاثاء من كل أسبوع، ووجد فيها ما يبحث عنه، فقد كان عبدالوهاب يهوى أن يفاجيء جمهور المشاهدين، فأول تجربة قدمها مع سميرة خلوصي، وثاني تجربة مع ليلى مراد، بينما ثالث تجربة قدمها مع نجاة علي، ورابع تجربة كانت مع راقية إبراهيم، أما الخامسة فكانت مع رجاء عبده.

كان الأمل يراود ليلى كما يراود والدها زكي مراد في أنه بين يوم وليلة سوف يأتي الأستاذ عبدالوهاب ويعرض فكرة أن تشاركه ليلى مراد بطولة فيلم من أفلامه، ولذلك كان زكي مراد يداوم من ناحيته على الاتصال اليومي بالأستاذ والزيارة بين الحين والآخر حتى يخلق الفرصة وينقل للأستاذ أخبار تألق ليلى، وحدث بالفعل أثناء مروره على مكتب الأستاذ بالموسكي حيث عرض عليه الفكرة ببساطة بعد اعتذار أم كلثوم، بل حدد موعداً صباح اليوم التالي حتى تحضر ليلى وتتعرف على المخرج والمنتج معاً، وفى صباح اليوم التالي اصطحب زكي مراد

ابنته ليلى لمقابلة عبدالوهاب بمكتب شركة أفلام «بيضافون» بالموسكى وقد قوبلت ليلى وأبوها بحفاوة بالغة في مقر الشركة، ولكن فجأة تكهرب الجو بسبب المبلغ الذي حدده زكي مراد كأجر وهو 600 جنيه وكان هذا المبلغ يساوي ميزانية فيلم سينمائي كامل، ولكن عبدالوهاب احتفظ بهدوئه الباسم وترك شقيقه الشيخ حسن ليقنع زكي بأن المبلغ مبالغ فيه بعض الشيء وأن العدل هو أن تحصل على ثلاثمائة جنيه فضلاً عن أن الأستاذ سيتحمل نفقات ومصاريف الأغاني من تأليف وألحان، إضافة إلى ملابس الشخصية والأكسسوار، فوافق زكي بعد أن شعر بأنه سيكون الرابح في النهاية، ورغم ذلك شعرت ليلى بأن هناك أخذاً ورداً ونقاشاً بين عبدالوهاب والمخرج محمد كريم فقد حدث أن اعترض كريم على قيام ليلى بالبطولة أمام عبدالوهاب فحكم عليها بالإعدام في لحظة، والسبب يعود إلى أنه حينما وقعت عيناه عليها راح يتفحصها من قمة رأسها حتى أخمص قدميها فرأى أنها صغيرة، وضئيلة وبالتالي غير مقنعة، وبدأ معركة حامية بين الأستاذ كريم لم يستطع كريم فيها أن يتمسك برفضه أمام إصرار عبدالوهاب على أن تكون ليلى مراد هي البطلة أمامه، وفي النهاية حسم الأمر لصالح ليلى وعبدالوهاب، وجهزت العقود وخطت ليلى على أول درجة من سلم مجدها، وأفاقت من صدمة محمد كريم الأولى على ابتسامة الأستاذ وهو يقول لها: «مبروك يا مدموازيل ليلى.. إن شاء الله هننجح نجاح عظيم» .

يحيا الحب

بدأت مرحلة الاستعداد للفيلم مع التدريبات الشاقة على الحركة والإلقاء إضافة إلى بروفات أغاني الفيلم، وكانت أول أغنية تحفظها ليلى من عبدالوهاب هي أغنية «النسيم لما يداعب خيالي» ، وتحدد موعد تسجيل الأغنية وكانت ليلى بفطنة كاملة وإرادة قد تخلت عن الغناء في الحفلات العامة والأفراح، وقررت أن تتفرغ لفيلم عبدالوهاب حتى تكون على مستوى اختياره وتحمسه لها، وفى حجرة الصوت باستديو مصر وقفت ليلى مراد وسط الفرقة الموسيقية لتسجل أولى الأغنيات، وأدت ما خططه ودربها عليه عبدالوهاب تمامًا كالتلميذة النجيبة التي تحفظ عن ظهر قلب توجيهات أستاذها، وبدون أية أخطاء، وبينما كان عبدالوهاب واقفاً مع مهندس الصوت في الحجرة الخارجية يقود دقائق عملية التسجيل ويصيح طرباً كلما أجادت ليلى الأداء، وبعد عدة ساعات انتهت ليلى من عملية التسجيل بنجاح وتقبلت تهاني الحاضرين، وعلى رأسهم أستاذها ثم رحلت إلى البيت لتستريح فإذا بالأستاذ يتصل بها تليفونياً لإعادة تسجيل الأغنية مرة أخرى، ورغم أنه كان هناك إجماع على

أن ليلى أجادت وأضافت للحن قوة وسحراً بأدائها المتميز إلا أنها استجابت لطلب الأستاذ وذهبت صباح اليوم التالي كى تعيد غناء وتسجيل الأغنية، وللمرة الثانية كما حدث بالأمس أطربت عبدالوهاب وانتهى التسجيل على خير والأستاذ راضٍ كل الرضا، ولكن ما حدث بالأمس تكرر في مساء نفس اليوم، وطلب عبدالوهاب منها إعادة تسجيل الأغنية للمرة الثالثة، واضطر في هذه المرة أن يكشف لها عن السبب إذ قال إن التسجيل يعاد بناء على طلب المخرج محمد كريم، فتمالكت نفسها وصممت على خوض المعركة مع محمد كريم، وفي اليوم التالي بينما كانت تقف أمام الميكروفون دخل محمد كريم إلى قاعة التسجيل وقرر أن يتدخل في نوعية أدائها للحن، فقد رأى أن صوتها الحزين لا يتلاءم مع الموقف الذي تُغني فيه وخاصة في المقطع الذي يقول «لما جه الشط الهادي ريح جنبه، ووشوش الرمل النادي وشكا غلبه» ، فهذه كلمات مرحة لا يصح أن تؤديها بنبرة حزينة، ورغم توجيهات كريم لها بإضفاء جو المرح والتفاؤل على الأغنية إلا أن شيئا في أدائها لم يتغير فالذنب ليس ذنبها بل اللحن الذي وضعه عبدالوهاب كان حزيناً، وهي حفظت اللحن على يد عبدالوهاب وتؤديه كما حفظه لها الأستاذ، وإن كان لابد من التغيير فليغير عبدالوهاب لحنه إذن، في تلك اللحظة أدركت ليلى مراد ما يريده محمد كريم، واكتشفت رغم صغر سنها وقلة خبرتها أن محمد كريم يخشى أن يخبر عبدالوهاب بالحقيقة فقررت أن تنوب هي وتخبر عبدالوهاب وليكن ما يكون، وفي ثقة اقتحمت ليلى صالة التسجيل، وصاحت في وجه الأستاذ قائلة «يا أستاذ الغلطة مش غلطتي، أنا باقول اللحن زي ما أنت عامله، وإنت عامله حزين وده مش عاجب الأستاذ كريم»، فطلب عبدالوهاب على الفور تأجيل البروفة للغد.

كان موقفاً شجاعاً للمطربة الشابة أن تغامر بالحلم الكبير حلم الوقوف أمام عبدالوهاب في فيلم سينمائي، فماذا لو غضب من رأيها الذي أبدته أمام كريم بعد أن أكدت أن العيب في لحن عبدالوهاب وليس في صوتها، ولكنه لم يغضب لاقتناعه وإعجابه بشخصيتها وجرأتها في المناقشة، وانكب في تلك الليلة على اللحن فغير فيه وبدل وجاء المقطع الحزين فرحاً راقصاً فغنته ليلى ورضي عنه المخرج ولم يتعال الأستاذ والنجم المكتسح بل تقبل النقد بصدر واسع بعد أن اقتنع بوجهة نظرها وأعاد النظر فيه.

ومضت الشهور وعرض فيلم «يحيا الحب»، كما هي العادة في أفلام عبدالوهاب التي سبقته فغطى نجاحه واكتساحه كل ما كان يعرض من أفلام وقتها كما سجل أرقاماً قياسية في الإقبال الجماهيري عليه ودخلت ليلى مراد دائرة الضوء والشهرة من أوسع الأبواب، وبدأت أغانيها في الفيلم تتردد على ألسنة الناس في الشارع المصري، كما أصبحت محط أنظار

الصحف والمجلات، الكل أصبح يرصد حركاتها وسكناتها بعد أن أصبحت نجمة ساطعة في سماء الفن. وأغرى نجاح الفيلم عبدالوهاب فأصبح يفكر في التعاقد مع ليلى مراد على فيلمه الجديد «ممنوع الحب»، ولكن ديكتاتورية محمد كريم ظهرت من جديد في الأفق ورفض تكرار التجربة رغم قناعته بليلى كممثلة إلا أنه كان يرى أنه من الضروري البحث عن وجه جديد؛ لأن هذا يعطي دعاية أكبر للفيلم، وبالفعل اختار كريم بطلة أخرى لفيلم « ممنوع الحب» وهي نجاة على، بينما اتخذت ليلى مراد بعد أن حققت نجاحها السينمائي الأول مساراً آخر حيث التقت في هذا المسار بعملاق آخر من عمالقة الفن في مصر وهو غول المسرح المصري يوسف بك وهبي.

سلسلة أفلام ليلى

بدأت ليلى مراد رحلتها في السينما بعد نجاح «يحيا الحب»، فتلقفها المخرج توجو مزراحي عام 1939 ليعيد صياغتها من جديد ويقدمها في صورة أفضل بكثير عن تلك التي ظهرت بها أول مرة، وكان توجو مزراحي سكندريًّا من عائلة يهودية مصرية وعمل في السينما المصرية مبكراً منذ عهدها الصامت، وكان يمتلك ستوديو سينمائيًا في الإسكندرية قبل أن ينقل نشاطه الفني إلى القاهرة الكبرى، وعندما استقر بالقاهرة امتلك ستوديو بالجيزة، هذا المكان الذي خرج منه في سنوات طويلة مئات الأفلام وآلاف الفنانين، وإلى جانب الإنتاج كان توجو مخرجاً لكل أفلامه ومؤلفاً لبعضها وممثلاً في بعضها الآخر تحت اسم أحمد المشرقي، وتنوعت أفلامه ما بين التراجيديا والكوميديا التي كان لها الغلبة، كما يعود له الفضل في تقديم اثنين من ألمع نجوم الكوميديا في ذلك الوقت وهما علي الكسار وفوزي الجزايرلي، «المعلم بحبح» فضلاً عن أنه يعتبر المخرج الوحيد بخلاف زميله أحمد بدرخان الذي أخرج فيلماً واحداً لأم كلثوم وهو فيلم «سلّامة» .

آمن توجو بموهبة ليلى واستغل فرصة انسحاب محمد كريم وعبدالوهاب ليدخل هو بكل قوته وأمواله وإنتاجه وأفلامه حياة ليلى مراد وقد كان فذهب إلى شقة زكي مراد ومعه فيلم «ليلة ممطرة» ثاني أفلام ليلى مراد بأجر يتعدى ضعف الأجر الذي حصلت عليه في أول فيلم وهو سبعمائة جنيه مصري، وعلى الفور وافق زكي مراد، ووقع على العقد فقد كان هو الذي يدير الأمور والعقود ويسعى ويناقش، ويرفع الأجر ويرفض العروض أو يقبلها، وعليه انتقلت الأسرة فوراً إلى مسكن جديد في شارع الطيران بمصر الجديدة ومنه إلى مسكن آخر أكثر اتساعاً في شارع الميرغني.

دخلت ليلى الاستديو في اليوم الأول لتقف أمام غول المسرح يوسف بك وهبي، والرعب يجمد أطرافها فلم تكن قد التقت به شخصياً إلا مرات نادرة ولثوان عابرة عندما كانت تذهب لتحيي حفلاتها على مسرح رمسيس، وكان الرجل نجماً متوهجاً تحيط به هالة من الشهرة لا تقل عن شهرة عبدالوهاب وأم كلثوم، وفوق هذا كله ابن ذوات يسلك سلوك البكوات، بسيط ومتغطرس في آن واحد، يحسب له ألف حساب وحساب بما لديه من مكانة عالية لم يصل إليها فنان في مصر.

ولأنه كان يعلم حجم خطورته كممثل كبير يهابه المبتدئون ويعتبرونه عملاقاً مرعباً صاحب أشهر صيحات مزلزلة يطلقها بصوته الجهوري الهادر «يا للهول عليك اللعنة يا ابن الخطيئة»؛ سرعان ما احتوى ليلى مراد بابتسامته العريضة حتى تطمئن إليه وهمس إليها بالفرنسية «إنتى ليه عاملة زى الصيني تتكسري من أول لمسة تعالي ما تخافيش يا حلوة أنا ما باكلش البنات الصغيرين، إنتى إيه فاكراني راسبوتين بجد ده تمثيل كده وكده أنا في الحقيقة راجل طيب وما بخوفش حد» ، وبالفعل وقف يوسف بك بجوارها وراح يشجعها ويوجهها ويهمس لها كيف تلعب الدور، ويعلمها كيف تُبَكِّي الناس وكيف تضحكهم، كانت ليلى تخطئ في بعض الأحيان فينبهها للخطأ دون أن يثور، فقد كان يراها مثل تمثال من البسكويت الرقيق لابد من التعامل معه بحرص وحذر، ولكنها أيضا كانت قابلة للتلقي، تنفذ النصائح بحذافيرها وتتقدم يوماً بعد يوم إلى درجة أنها لم تعد تحتاج للنصيحة بعد أن أصبحت متمكنة من أدواتها تماماً.

ولم تمض أسابيع قليلة حتى عرض فيلمه «ليلة ممطرة» فأحدث عاصفة واكتسح السوق اكتساحاً، وخرجت أغانيها إلى الشارع المصري لتدخل كل بيت وكل قلب. فسارع توجو مزراحي إليها بعقدين لفيلمين مرة واحدة وهما «ليلى في الظلام» و «ليلى بنت الريف»، وبدأ معها سلسلة أفلام ليلى، لكنه فوجئ في البداية بها تسأله عن الأجر الذي سوف تتقاضاه هذه المرة، فابتسم وقال : « 2500 جنيه للفيلمين» ، ففوجئ بالعصفور وقد تحول إلى نسر وقالت في لهجة حاسمة، «لا يا مسيو توجو، أنا أجري المرة دى ثلاثة آلاف جنيه عن الفيلم الواحد» ، فحاول توجو أن يخفض الأجر لكنها أصرت على موقفها فرضخ الرجل، ووقع على العقدين وإذا بليلى تشتري سيارة شيفروليه تقودها بنفسها احتفالاً بتوقيع العقد.

وعرض الفيلمان ونجحا نجاحاً مدوياً، وأصبحت ليلى تملك رصيداً هائلاً من الأغنيات، وحققت لتوجو ما يتمناه من ربح مادي، وكما أثبتت له أنه صاحب فراسة سينمائية خاصة عندما تبناها سينمائياً، ورغم ذلك كان البعض يرجع سبب نجاح الأفلام إلى وجود فنان بقدر

وعظمة يوسف وهبي، ولكنه هو نفسه كان يعطي ليلى حقها في النجاح والشعبية، وكان يعترف بذلك في مقابلاته الصحفية وأحاديثه بين الفنانين، وعليه أصبح كل فيلم يُخطط له توجو تُرشح له ليلى مراد كنجمة، فمثلت بعدها «ليلى بنت المدارس» عام 1941، والذي كان آخر فيلم لها مع يوسف وهبي، وكان الأجر الكبير الذي تطلبه ليلى في كل عرض جديد يؤرق بعض المنتجين، بدأت الصحف والمجلات تجري مقارنة بين ما تتقاضاه ليلى مراد في الفيلم الواحد الذي لا يستغرق تصويره أكثر من شهرين وبين أجر رئيس الوزراء في مصر في عام، ولا أحد ينكر أن التحول الذي أصاب ليلى مراد من ارتفاع أجرها وتعاظم شعبيتها جاء بلا أدنى شك على يد المخرج والمنتج توجو مزراحي، والجدير بالذكر أن المنتج «جبرائيل تلحمي» أحد أشهر منتجي السينما في ذلك الوقت قد تعاقد مع ليلى مراد بعد فيلم «يحيا الحب» على بطولة فيلم تمثله له، وحدد جبرائيل الأجر وكان عبارة عن ثمانمائة جنيه مصري، ثم توقف المشروع لأسباب إنتاجية، وتعرفت ليلى بعدها على توجو الذي ضاعف أجرها عن ذلك الذي عرضه جبرائيل. وبعد نجاح سلسلة أفلام توجو عاد جبرائيل مرة أخرى وطالب ليلى بالالتزام بما تعاقد عليه فإذا بوالدها يتشدد معلناً أن الأجر الذي يحدده العقد لم يعد يتناسب على الإطلاق مع مكانة ليلى مراد السينمائية، وطالبت ليلى بأن يرتفع الأجر ليتناسب مع ما دفعه توجو لها في ثلاثة أفلام ليلى، وهو ثلاثة آلاف جنيه في الفيلم الواحد، فرفض جبرائيل وتمسك بشروط العقد، وعلم توجو بالقصة فذهب مسرعاً إلى ليلى وعرض عليها فكرة دفع تعويض للمنتج تلحمي عن طريق الاشتراك في فيلم جديد من إنتاجه، وهو فيلم «ليلى» عن قصة غادة الكاميليا التي كتبها «الكسندر دوماس» في القرن التاسع عشر، وقبل أن تنطق ليلى بالموافقة أو الرفض كان قد أشار إليها بأن الأجر الذي ستتقاضاه هذه المرة هو سبعة آلاف جنيه أي أكثر من ضعف ما تقاضته من قبل في الأفلام الثلاثة السابقة، وقد مكنها هذا من دفع تعويض للمنتج تلحمي بما هو منصوص عليه في العقد، وقبل أن ينصرف توجو من بيت ليلى بعد توقيع العقد فوجئ بها لأول مرة تطلب منه أن يأتي لزيارتها مرة أخرى؛ لأنها تريد بعض التعديلات في السيناريو رغم أنها كانت قد قرأت من قبل القصة في الأدب الفرنسي كما رأت الفيلم الأمريكي الذي مثلته أسطورة السينما العالمية «جريتا جاربو» وأعجبت بها وبه، وتمنت أن تقلده على الشاشة المصرية، ولأن ارتباط توجو بالنجم اللامع يوسف وهبي كان ارتباطاً شديد العمق؛ لذلك جعله يفكر بالطبع في إسناد دور «أرمان دوفال» إليه، لكن ليلى كان لها رأي آخر فوجئ به توجو مزراحي تماماً.

مش عايزة يوسف وهبي

لم يحدث أن فاتحته ليلى في هذا الطلب من قبل وهو الذي عملت معه في أربعة أفلام متتالية كانت دائماً كعجينة الصلصال اللينة، تفعل كل ما يطلبه منها أمام الكاميرا في طاعة كاملة، لم تناقش موقفاً من المواقف ولم تطلب تعديلاً لأي مشهد يصوره، فما الذي حدث؟ كيف ترفض أن تمثل أمام يوسف وهبي؟ ما الذي أوحى لها بذلك؟ صحيح أن ليلى مراد بعد خمسة أفلام فقط أصبحت تحمل لقب «ديانا درين» المصرية، وكانت ديانا واحدة من نجمات هوليوود الشهيرات، وبدا طلب ليلى مراد شديد الغرابة، فأية ممثلة مصرية كانت تتمنى أن تتاح لها فرصة البطولة أمام يوسف بك، فلماذا تريد أن تبعده الآن، وقد استفادت منه فنياً وأدبياً، وكان مبررها في ذلك أنها تريد أن تقطع ألسنة الأقلام التي تكتب أن نجاح أفلامها يعود لوجود يوسف وهبي بجانبها، فهي تريد أن تثبت لنفسها وجمهورها قدرتها على النجاح بمفردها وبدون مساعدات خارجية، وفي محاولة لاختيار من سيقف أمامها في دور أرمان دوفال، وقع بصرها على الممثل الشاب حسين صدقي بطل فيلم «العزيمة» ، فاتفقت معه وما إن انتهت ليلى من تصوير الفيلم حتى شعرت بآلام حادة في البطن مما دفع بوالدها وشقيقها الأكبر إبراهيم إلى إحضار الأطباء على الفور، وبعد الكشف عليها قرروا نقلها إلى المستشفى لإجراء جراحة عاجلة لاستئصال الزائدة الدودية، وأجريت العملية بنجاح، وعلم توجو بالأمر فخطرت على باله فكرة خبيثة لاستغلال حكاية المستشفى وإخراجه في الدعاية للفيلم الذي يجهزه للعرض حتى يجذب انتباه الناس إليه، فقد كان توجو يجيد هذا النوع من الدعاية... فماذا فعل؟

أطلق شائعة تقول إن ليلى مراد دخلت المستشفى وأجرت عملية جراحية تحولت بها إلى رجل، وتحدثت المجلات والصحف عن هذا الخبر بإلحاح وصدقه الكثيرون، وراح توجو يستخدم في الدعاية عبارات رنانة مثل إن هذا آخر فيلم مثلته ليلى مراد قبل أن تتحول إلى رجل، وشاءت الظروف أن تغادر ليلى مراد المستشفى بعد أن شفيت تماماً. وذلك قبل أن يعرض فيلمها الجديد «ليلى» بيوم واحد، لتفاجأ بحجم الدعاية التي قام بها توجو مزراحي لإنجاح الفيلم، وحين علمت بصفة الشائعة التي أطلقها توجو ضحكت من قلبها وأقسمت لجمهور المتفرجين الذين تجمهروا أمام سينما كوزمو ليلة العرض الأول أنها لا تزال سيدة ولا صحة لما تشيعه الصحف، لأنها مجرد دعاية ذكية لدفع الناس للإقبال على الفيلم، وحدث بالفعل ما خطط له توجو، إذ سجل الفيلم سابقة خطيرة عندما استمر عرضه بنجاح لمدة 19

أسبوعًا متواصلاً، وكسب الجولة الأولى عندما تفوق على فيلم « رصاصة في القلب» الذي كان يعرض أيضاً على الرصيف المقابل في نفس الشارع بدار سينما ستوديو مصر المواجهة لسينما كوزمو.

ومنذ ذلك الوقت أصبح النجاح حليف ليلى مراد فبدأت رحلة الاستمتاع بالحياة فوق القمة وأصبحت تهتم جداً بتكوين صداقات وتتحرك من خلال مجتمع خاص من أختها ملك وبعض زميلاتها ومدرساتها في مدرسة «نوتردام» ، وقد ارتبطت معهن بصداقات عاشت معها طوال العمر، وكانت في ظل النجاح قد تفتحت الحياة وزادت بداخلها الثقة بالنفس والموهبة والفن والغد المشرق، ومرت الأيام واستقلت بتفكيرها وقراراتها وبدأت تمارس حياة النجمة المتألقة. وكان عبدالوهاب في ذلك الوقت يفكر في تقديم فيلم جديد ولم يستمع تلك المرة لأي من اعتراضات محمد كريم فاتصل على الفور بها هاتفياً ودعاها لتناول القهوة معه ومع كريم في مكتبه بالموسكي، ولم تستطع ليلى مراد أن تخفي رنة الفرح في صوتها فها هي تعود من جديد لتقف أمام معبود النساء، لكن الأمر اختلف تماماً هذه المرة وفوجئت باستقبال حماسي من الجميع وعلى رأسهم محمد كريم وشعرت من بوادر هذا اللقاء بأنها بالفعل نجمة سينمائية لها وزنها، وبالتالي تغيرت نبرة صوتها وهي تناقش محمد كريم والدكتور بطرس بيضا على الأجر الذي سوف تتقاضاه على الفيلم الجديد مع عبدالوهاب الذي أخرج نفسه بذكاء من دائرة المساومة هذه إكباراً لليلى وحفاظاً على مكانته كفنان، واندهش الدكتور بطرس حين حاول أن يذكرها بأول أجر دفعته لها الشركة وهو 350 جنيهاً عن بطولة فيلم «يحيا الحب» و300 جنيه كأجر لملء عشر أسطوانات من أغانيها بواقع 30 جنيهاً للأسطوانة اندهش بقولها «يا دكتور بطرس ده كان من عشر سنين وأنا مش ناسية بدايتي، علشان كده أنا بدل ما آخذ عشرة آلاف جنيه في الفيلم وهو يمثل أجري الحالي، هآخد ثمانية فقط إكراماً لأستاذي الكبير وفضله في تقديمي للسينما» ، ورغم إلحاح دكتور بطرس وكريم من ناحية ورقة عبدالوهاب من ناحية أخرى إلا أن إصرار ليلى على التمسك بموقفها أدى إلى فشل فكرة الجمع بينهما من جديد في فيلم واحد، وبحث عبدالوهاب عن بديل فوجد رجاء عبده، ومع ذلك فلم تنقطع صلة الصداقة والتعاون الفني بين عبدالوهاب وليلى مراد طوال سنوات عمرها وحتى بعد احتجابها وإعلان اعتزالها النهائي.

عزيمة كمال سليم

فى عام 1944 بدأ التعاون بين ليلى مراد والمخرج العبقري كمال سليم، واستطاع كمال أن يرسم لها خطاً جديداً تنطلق من خلاله في فيلم « شهداء الغرام» المأخوذ عن شخصية شكسبير المعروفة « روميو وجولييت». ورغم محاولات استغلال طاقات ليلى مراد السينمائية والغنائية إلا أن الفيلم بدا وكأنه يفتقد حلقة هامة، كما أنه تكلف أموالاً طائلة في حينه، وربما كان اختيار المطرب إبراهيم حمودة ليلعب دور البطولة أمام ليلى مراد غير موفق، أو ربما يرجع السبب إلى فشل كمال سليم في السيطرة الكاملة على طاقات ليلى الإبداعية مما جعله يراجع نفسه وحساباته ويكرر معها محاولة أخرى في فيلم «ليلى بنت الريف». وحتى ذلك الحين كان أنور وجدي يقوم بأدوار ثانية في أفلام ليلى مراد، ومع ذلك كان ضمن مجموعة الشركاء الذين انتجوا فيلم « ليلى بنت الفقراء» ، ولأن القدر لم يمهل كمال سليم العمر حيث توفي متأثراً بمرضه عام 1945 قبل بدء تصوير الفيلم، أخذ أنور وجدي القصة وتولى هو إخراج الفيلم وبطولته في أول مرة يقف فيها كبطل ومخرج وعاشق أمام ليلى مراد. كانت ليلى قد وصلت إلى أن تتقاضى أكبر أجر لمطربة تعمل في السينما في تلك الفترة من أوائل الأربعينيات، حيث كانت تتقاضى عن كل دور تمثله أجراً يوازي نصف ميزانية إنتاج أي فيلم وهو 12 ألف جنيه مصري، هذا الرقم الذي رضخ له المنتج جبرائيل تلحمي، بعد أن عرض عليها مرة أخرى أن تمثل فيلماً من إنتاجه فكان «شهداء الغرام»، وتصادف وقت وفاة كمال سليم أن تعاقدت ليلى مراد مع شركة نحاس فيلم على بطولة فيلم «شادية الوادي» مع يوسف بك وهبي، وكان يوسف وهبي قمة، وكانت ليلى مراد هي الأخرى قمة، لكنها لم تنس أنه أول من ساعدها وأخذ بيدها وهي تبدأ رحلتها كممثلة، فوافقت على الفور بعد أن أثبتت لنفسها أنها تستطيع أن تتحمل مسئولية فيلم بأكمله، فلماذا لا تشترك مع عميد المسرح المصري في فيلمه القادم خاصة بعد أن اطمأنت إلى أنها تتربع على عرش السينما النسائية، ولا مانع من أن تجتذب جمهور يوسف وهبي أيضاً.

غرام حبيب القلب

كل الذين عرفوا أنور وجدي وصادقوه كانوا يعلمون تلك الطاقة المذهلة التي تنبض ولا تكل حتى في أشد أوقات مرضه وعذابه، وهكذا كان أنور مع ليلى عملياً سريع الحركة، سريع الخاطر، لماحاً، ذكياً بل داهية، وحينما عرضت عليه ليلى أن يخرج فيلم «ليلى بنت الفقراء» بدلاً من كمال سليم لم يصدق نفسه في ذلك الوقت، ولم يتصور أن تقبل الفنانة الكبيرة ليلى

مراد أن تمثل فيلماً من إخراجه وبطولته بعد أن كان مجرد «سنيد» للبطل ولكنها اقتنعت به وآمنت بموهبته وأعطته فرصة عمره بل وأصرت عليه حين استاءت مجموعة الشركاء محاولين إخماد الفكرة وإعطاءها لمخرج آخر متمكن. راحت ليلى ترقب تصرفات أنور وجدي من بعيد، وقلبها مغلق تماماً، لكنه استطاع بخفة ظله وحضوره الطاغي أن يستولي تماماً على انتباهها الذي تحول من كثرة محاصرته لها وقربه الشديد واهتمامه بكل تفصيلة تؤديها أو تقودها إلى إعجاب ثم إلى حب ثم إلى عشق لا مثيل له، كانت ليلى مراد بالنسبة لأنور وجدي هدفاً سعى من أجله وصارع حتى وصل إليه، كان يعلم أنه يراهن على الحصان الرابح في سباق السينما، وأنه بقربه منها بل وبزواجه سوف يحقق نجاحات وثروات لا حصر لها تفوق تصور أي عقل، وقد كان، فقد أعلن أنور زواجه من ليلى في آخر مشهد من فيلم «ليلى بنت الفقراء»؛ ليبدأ معها سلسلة أفلام يكون فيها المنتج والمؤلف والممثل والمخرج والحبيب والزوج، كان أنور وجدي كل هؤلاء في رجل واحد، ولكنه كان حريصاً أيضاً على ألا يستولي أحد على تلك الدجاجة البيضاء التي تبيض له ذهباً كل فيلم، فكوَّن شركة الأفلام المتحدة واستغل شهرة ومكانة وقمة ليلى مراد التي صارت ملكاً خاصاً له ليحصل من خلالها على أرباح لا أول لها ولا آخر، وفي نفس الوقت يقنعها بأن الأرباح تدخل في ميزانية الشركة لإنتاج أفلام أكبر وأعظم، وبالتالي عاشت ليلى مع أنور زوجة مطيعة وممثلة أكثر طاعة تمثل ولا تحصل على أجرها لسنوات طوال إلى أن قررت أن تخوض تجربة التمثيل مع منتجين آخرين، وبدأتها مع أحمد سالم ولعبت أمامه دوراً مركباً في فيلم «الماضي المجهول»؛ لتثبت فيه قدرتها على تقمص كافة الشخصيات.

ونجح الفيلم رغم العراقيل التي كان يضعها أنور وجدي في طريقه، ولم يستطع أنور أن يتحمل نجاح «الماضي المجهول» فقدم في نفس العام 1946 فيلماً آخر مع ليلى بعنوان «ليلى بنت الأغنياء» من إخراجه وهو فيلم مأخوذ عن الفيلم الأمريكى «حدث ذات ليلة» بطولة كلارك جيبل، وعادت مرة أخرى ليلى للعمل مع يوسف بك في فيلم «ضربة قدر» عام 1947 ثم قدمت في نفس العام فيلم «خاتم سليمان» أمام زكي رستم ويحيى شاهين، حتى جاءت فرصة فيلم «قلبي دليلي» والذي حقق نجاحاً منقطع النظير، حاول المخرج نيازي مصطفى استغلاله سنة 1948 ،فقام بإخراج فيلم « الهوى والشباب» للثنائي الناجح أنور وجدي وليلى مراد لكن الفيلم لم يحقق النجاح الذي كان متوقعاً له خاصة أنه قورن بما لاقاه فيلم « قلبي دليلي» من نجاح، وحتى يعوض أنور وجدي الخسارة المادية شرع على الفور في تقديم فيلم آخر من إخراجه وهو فيلم «عنبر» الذي صاغ ألحانه محمد عبدالوهاب.

غزل بنات الريحاني

كان الممثل الكبير نجيب الريحاني يقطن بالدور السابع بعمارة الإيموبيليا بينما تقطن ليلى مراد بالدور الحادي عشر في نفس العمارة، كان يجمعهما المصعد مصادفة أثناء الصعود والهبوط، ولكن الخجل كان يمنعهما من الحديث معاً، وفي أحد الأيام تخلى نجيب الريحاني عن خجله وقال لها «يا بنتي أنا نفسي أعمل معكِ في فيلم قبل ما أموت» ، فقالت له إنها تتمنى ذلك، وسارعت في نفس اليوم وعرضت الأمر على زوجها أنور وجدي الذي تحمس هو الآخر بشدة، وخلال أيام كان أنور يعرض فكرة فيلم «غزل البنات» على نجيب الريحاني وبديع خيري، وتم العمل على أكمل ما يكون بعد أن شارك فيه أعظم الفنانين أنور وجدي وليلى مراد ويوسف وهبي ومحمود المليجي ونجيب الريحاني إضافة إلى وجود عبدالوهاب كضيف شرف من ناحية، ومن ناحية أخرى صياغته لأروع الألحان التي صاحبت الفيلم من بدايته إلى نهايته ومشاركته أيضاً بالغناء.

وكما تقول الأغنية :

« يا عيوني حبايبي ليه هجروني..

ليه يناموا وأنت تصحي يا عيوني ليه» .

فقد فارق نجيب الريحاني الحياة فور انتهائه من تصوير آخر مشهد ليحقق الحلم الذي تمناه قبل أن يموت وهو تمثيله أمام سندريللا الأربعينيات والخمسينيات ليلى مراد، وقد استغل أنور وجدي هذا الحادث في الدعاية وكتب أنه آخر أفلام نجيب الريحاني، بعدها بعام واحد عادت ليلى لتمثل أفلام خارج نطاق أنور وجدي، فقامت ببطولة فيلم «شاطئ الغرام» عام 1950 أمام حسين صدقي، كما قدمت عام 1951 فيلماً آخر بعنوان «آدم وحواء»، وإن لم ينجح كالفيلم السابق لأنه اعتمد على تقديم أفكار توجيهية بعض الشيء، والتقطها أنور وجدي من جديد حيث قدم معها فيلم «حبيب الروح»، وقام بنشر أخبار عن الفيلم تقول إن قصته تأليف توفيق الحكيم، ولكن عند العرض اختفى اسم توفيق الحكيم وحل محله اسم أنور وجدي مؤلفاً، ولم يحقق الفيلم النجاح الكبير الذي توقعه أنور أسوة بالأفلام السابقة التي حققت أرباحاً طائلة، وكان آخر فيلم يقومان ببطولته معاً هو «ليلى بنت الأكابر» عام 1953، واستغل أنور وجدي كعادته موضوع الطلاق من ليلى مراد في الدعاية للفيلم، ونشر معلناً «آخر أفلام أنور وجدي وليلى مراد معاً» .

أما هنري بركات فقد شكل مرحلة جديدة في حياة ليلى مراد الفنية وهي المرحلة التي

تسمى بالمحطة الرومانسية لفن ليلى، فركز على الجانب الحالم والعاطفي من شخصيتها، وجعل من صوتها الرقيق إضافة جديدة إلى القالب الرومانسي الذي وضعها فيه، جمع بينهما أول عمل وهو فيلم «شاطئ الغرام» الذي حظي بمكانة متميزة في قلوب المشاهدين، وغنت فيه هي أروع الألحان، وفي نفس العام قامت ببطولة فيلم «ورد الغرام» من إخراجه أيضاً وبطولة وإنتاج المطرب محمد فوزي، أما ثالث تجربة فكانت من إنتاج آسيا عام 1952 وهو فيلم «من القلب للقلب» .

المحطة الشاهينية

وكعادة المخرج يوسف شاهين ذي الطبيعة الخاصة ذات الصبغة الشاهينية المتمردة التي دائماً ما تبحث في أبطالها عما خفي من مواهب وما صعب على الممثل في أدائه، جاءت تجربة «سيدة القطار» ، والذي يعتبر تجربة فريدة من نوعها بالنسبة لليلى مراد إذ دخلت بطاعة وقناعة عالم يوسف شاهين المركب المعقد المليء بالظلال والرموز والإشارات، وكان هذا الفيلم شديد الخصوصية، حاول فيه «چو» أن يقترب من عالم الدهشة والغرائب، وحاولت ليلى بدورها أن تمس برقة ونعومة الطلاسم السحرية التي تفنن فيها شاهين ليخرج لنا فيلماً جديدا له زواياه وأبعاده الخاصة.

بعد هذه التجربة شرعت ليلى مراد مع أشقائها في تكوين شركة إنتاج سينمائي بعنوان «أفلام الكواكب» كانت باكورة إنتاجها عام 1954 فيلم «الحياة الحب». وفى اعتقادي أن اتجاه ليلى مراد للإنتاج كان هدفه تعويض الخسائر التي تكبدتها في السنوات التي تزوجت فيها أنور وجدي، وشاركها البطولة كمال الشناوي ومحمود المليجي وكوكبة أخرى من الفنانين، ثم كان آخر عهد ليلى بالسينما هو فيلم «الحبيب المجهول»، من إخراج حسن الصيفي، ولعب دور البطولة أمامها النجم حسين صدقي، ورغم أن قصة الفيلم كانت من ابتكار أنور وجدي الذي كان يستعد لإنتاجه لكي يعود للجمهور مع ليلى مراد إلا أنه عجز عن تحقيق هذه الأمنية لفشله في إقناع ليلى بالعمل معه رغم إلحاح المخرج حسن الصيفي، وتم إسناد الدور لكمال الشناوي ليكون آخر أدوارها على الشاشة الفضية.

قرار اللاعودة

حاول عدد من المنتجين بعد اعتزالها أن يغروها بالعودة إلى أضواء السينما، ومن أشهر تلك المحاولات محاولة رمسيس نجيب عندما عرض عليها تمثيل دور أم عبد الحليم حافظ في رواية لإحسان عبد القدوس بعنوان « دعني لولدي» قبل أن توقع العقد معه عدل رمسيس نجيب عن الفكرة وتم إسناد الدور للسيدة فاتن حمامة، وبعد أن بدأ تصوير الفيلم وقع الخلاف بين رمسيس نجيب وصبحي فرحات وتوقف التصوير ومات المشروع وهو في المهد.

وجدير بالذكر أن الفنانة ليلى مراد قد تقدمت بدعوى قضائية أمام محكمة القاهرة الابتدائية تطالب فيها منتجاً معروفاً بتعويض قدره عشرة آلاف ومائتان وخمسون جنيها لأنه سبق وتعاقد معها على التمثيل والغناء في فيلم لم ينتجه أو ينفذه، وبناء عليه استعدت هي للفيلم التزاماً منها واحتراماً لكلمتها ورفضت عروضاً كثيرة وتفرغت تماماً للمشروع الذي لم يتم، وسبب هذا لها أضرارًا كثيرة أهمها فترة الاحتجاب التي طالت.

أما ثاني المحاولات فكانت من نصيب المنتج فاروق الملثم الذي عرض عليها بطولة فيلمه «المتمردة» أمام النجم أحمد زكي من إخراج عاطف الطيب ولكنها رفضت الفكرة من الأساس.

وقد كان من أحلامها أن تعود إلى الشاشة بفيلم غنائي استعراضي كبير، وحين عقدت العزم ذهبت عام 1964 إلى عبدالحميد جودة السحار الذي كان يرأس المؤسسة المصرية العامة للسينما وعرضت عليه الفكرة حتى تمولها المؤسسة، ورحب بالمبدأ ووعدها بالنظر في الموضوع وانتظرت لمدة عام، ولم يأتها أي رد منه أو من مؤسسة السينما فغضبت وأقسمت ألا تعود. لقد شعرت أو قنعت بأن هناك شيئاً في حياتها غير الفن؛ شيء لا يمكن أن تتنازل عنه وهو أسرتها، فلقد أعطت الفن الكثير من حياتها وأعصابها وحبها ووقتها كما أخذت هي في المقابل حب الناس واكتفت بأيام المجد الخوالي التي ذاقت فيها ما لم يذقه غيرها من شهرة ومال وحب.

والفنان الصادق والأمين هو الذي يعرف متى بالتحديد تحين اللحظة التي يجب أن يغادر فيها المكان تاركاً آثاره الخالدة وعلاماته البارزة التي حضرها بالروح والدم والعرق وليلى مراد فعلت ذلك باقتدار.

من ليلى مراد إلى حسن الصيفي:

« أنا زي ما أنا
والفن يتغير»

آخر تجربة سينمائية لليلى مراد كانت من نصيب المخرج حسن الصيفي، هذا الرجل الطيب البشوش لم يكن مجرد مخرج في تاريخ ثنائي الحلم والفن والحياة أنور وجدي وليلى مراد، بل تجاوز هذه النقطة الحيادية وعبر بقوة وحب ليصبح صديقاً ودوداً ووسيطاً مؤتمناً ومانعاً للصواعق.

لعب دور حمامة السلام بينهما حتى آخر لحظة، وبعد أن انفصل الزوجان ظل هو على صلة حميمة بكل منهما على حدة في إطار من الحب والألفة والاحترام المتبادل، كما سعى بكل قلبه ومشاعره الصادقة ذات يوم ليجمعهما من جديد في فيلم سينمائي، ورغم الإلحاح والمناقشات والمفاوضات فشلت الفكرة بل وماتت إلى الأبد، وحتى لا يطير دخان المعلومات ويتبخر في هواء السرد المتواصل، تعالوا لنقرأ كف المخرج حسن الصيفي لنكشف من خلال خطوطه كيف اجتمع الثلاثي أنور وليلى وحسن على أضواء السينما.
حكى عم حسن فقال : « البداية كانت في فيلم ليلى بنت الفقراء، كان أنور وجدي وقتها ممثلاً صغيراً، ولم يكن يحصل على أدوار بطولات، والأفلام في هذه الفترة كانت تحقق أرباحاً كبيرة نتيجة الإقبال الجماهيري، ومنتج هذه النوعية من الأفلام كان توجو مزراحي وقتها، وكانت الفنانة ليلى مراد صاحبة أعلى أجر في فترة الأربعينات حيث كانت تحصل على مبلغ 12 ألف جنيه ولا تتنازل عن مليم واحد منها، وأنا كنت مرتبطاً بصداقات مع بعض رجال الأعمال، وأذكر أنهم طلبوا مني بعض المعلومات بغرض تكوين وإنشاء شركة إنتاج أفلام، فأشرت عليهم بإنتاج أفلام لليلى مراد؛ لأنها تعتبر الحصان الرابح في سباق السينما، وعليه فلقد وافقوا وشرعوا في التنفيذ، وكنت أنا أحب أنور وجدي جداً، وعملت كمساعد مخرج في بعض أفلامه، وكنت أول من تنبأ له بالنجاح؛ لأنه في الحقيقة كان ممثلاً مجتهداً ونشيطاً إلى جانب أنه كان يسكن بجواري، ومن هنا نشأت بيننا صداقة امتدت لسنوات طوال حتى وفاته، وعلى ما أتذكر أنا الذي اقترحت على الشركاء أن يقوم المخرج كمال سليم

بإخراج الفيلم الذي ينوون إنتاجه للفنانة ليلى مراد، وبالتالي يضمن النجاح وكيف لا ينجح فيلم يضم أكبر ممثلة وأكبر مخرج فرحبوا بذلك وقاموا باستئجار شقة في عمارة الإيموبيليا وأنشئوا شركة الفيلم المصري لإنتاج باكورة الأعمال « ليلى بنت الفقراء» . وبالفعل وقعوا عقداً مع ليلى على أن يكون البطل هو أنور وجدي الذي كانت أمنية حياته أن يقف أمام ليلى مراد، وبدأنا نعد للفيلم، وكنت كل عدة أيام أذهب إلى بيت كمال سليم وأحصل منه على أوراق السيناريو لأكتبها على الآلة الكاتبة، وفى آخر فصل من الفيلم ذهبت لأحصل على الأوراق الباقية فوجدت كمال سليم مريضاً وفي حالة حرجة ثم بعدها بأيام فوجئت به متأثراً بمرضه، وعلى الفور أبلغت أنور بالخبر فحزن بشدة وخشي أن تُحل الشركة ويفقد هو فرصة التمثيل أمام ليلى مراد إلى الأبد.

ولأني أدرك ذلك وأعرف قيمة أن يقف الممثل في أول دور بطولة له أمام فنانة بحجم وثراء وجماهيرية ليلى مراد، حاولت أن أتدارك الموقف وأعطيته الأمل وذهبت للمخرج على بدرخان الذي كانت تجمعنى به صداقة بدأت في فيلم « ما أقدرشي» لفريد الأطرش، ثم في فيلم « عودة القافلة» لحسين صدقي، وتجارب أخرى عملت فيها كمساعد مخرج له، ولذلك اقترحت عليه فكرة إخراج الفيلم وإنقاذ الموقف ورغم أنه أبدى إعجابه بالموضوع إلا أنه عاد وأعتذر لإرتباطه بإخراج أفلام لأم كلثوم؛ لأنه يخشى على مشاعرها ويحترم رأيها ويتفرغ لها تماماً.

وكررت نفس المحاولة مع المخرج نيازي مصطفى، وقبل التوقيع على العقد اشترط أن تقوم زوجته كوكا بالدور بدلاً من ليلى مراد، وطبعاً فشل المشروع، وعدت مرة أخرى للشركة لأطلعهم على الأجر، وفى ذلك الوقت كنت قد أدخلت أنور وجدي كشريك في الإنتاج ورفعت أجره من 300 جنية إلى 1500 جنيه في الفيلم، ولكن بعد اعتذار نيازي مصطفى الأخير، طلب مني الشركاء أن أتصرف بسرعة حتى لا تحل الشركة وعرضوا علينا فكرة أن أتولى أنا إخراج الفيلم بما لدي من خبرة سابقة، ولكني رفضت بإصرار وقلت إن الوقت لم يأت بعد لكي أتحمل هذه المسئولية بمفردي، وبعد عدة أيام وأنا أفكر في الأمر تنبهت إلى شيء لم يخطر على بالي من قبل، وهو أن أنور وجدي نفسه عمل كمساعد مخرج مع «توجو مزراحي» وشاركه العديد من الأفلام وتتلمذ على يده، فلماذا لا يتولى هو المهمة؟ وعليه ذهبت له في منزله وشرحت له كل شيء عن عدسات الكاميرا وتكوينها، وبعد دقائق اقتنع بكلامي خاصة بعد أن شرحت له أن الشركة أعطتني مطلق الحرية في اختيار المخرج الذي سيتولى مسئولية الفيلم، ثم تركته وذهبت إلى موعد عمل وعدت متأخراً لأجده في

سيارته الصغيرة ينتظرني وهو في حالة قلق من أن ترفض ليلى مراد العمل معه كمخرج فوعدته بإقناعها حيث إنني كنت صديقاً لوالدها وأشقائها، وذهبت إليها وشرحت ما حدث تماماً ففوجئت بها تؤيد الفكرة بقوة، وتم الفيلم ونجح نجاحاً ساحقاً وعرض لعدة أسابيع بسينما رويال، بعدها صمم أنور على حل الشركة خاصة بعد أن دب الخلاف بينه وبين أحد الشركاء اللبنانيين، وأخذ أنور الفيلم لحسابه وأعطاهم أموالهم من إيرادات الفيلم وأنشأ هو شركة الأفلام المتحدة بعد أن تزوج ليلى مراد ليتولى إنتاج سلسلة الأفلام الناجحة منها «ليلى بنت الأكابر، حبيب الروح، قلبي دليلي، عنبر، وغزل البنات».

خطف مراتي

بعد النجاحات التي حققها أنور وجدي من سلسلة الأفلام التي أنتجها لليلى مراد بدأ يفكر في تقديم فيلم جديد على نفس المستوى، فكتبنا أنا وهو فيلم «خطف مراتي» على أن يكون أبطاله ليلى مراد وأنور وجدي وأحمد سالم ومديحة يسري، ووافق الأستاذ عبدالوهاب على تلحين أغنياته، وبالفعل سجلنا أغنية «أكرهك» بصوت ليلى مراد، وبنينا الديكور واستعددنا للتصوير، ولكن قبلها بيومين مرض أنور وجدي وقرر الطبيب المعالج منحه راحة لمدة أسبوعين لا يغادر خلالهما السرير مؤكداً خطورة العمل عليه، فقد كانت تلك هي بداية أزمات الكلى التي أصيب بها، واقترح عبدالوهاب أن نهدم الديكور فهدمناه، وبعد أن تحسنت صحة أنور عدنا وبنيناه مرة أخرى، وذهبت لأخبر أحمد سالم بموعد التصوير ففوجئت بالطبيب يخرج من عنده ويصر على نقله إلى المستشفى ليتوفى صباح اليوم التالي، وطبعاً هذه الأمور تسببت في إحداث نوع من التشاؤم لأنور، وتصور أنه لو عمل الفيلم فسوف يموت مثلما مات أحمد سالم، ولذلك قمنا بعمل فيلم آخر وهو فيلم «ياسمين» الذي قامت ببطولته فيروز، وكان تحت الإنتاج ثلاثة أفلام أخرى وهي «الظلم حرام وخطف مراتي وأربع بنات وضابط»، وفاجأني أنور وجدي بعمل عقد مع المطربة نور الهدى فاعترضت على أساس أن لديه عقدًا مع ليلى مراد وهي أفضل مطربة في ذلك الوقت، واقترحت أن نخفي الأمر عن ليلى حتى لا تغضب، وفى ذلك الوقت كان عبدالعزيز محمود قد قام ببطولة فيلم «أسمر وجميل»، ونجح فاقترحت عليه أن يأتي بمخرج الفيلم عباس كامل لإخراج فيلم لعبد العزيز محمود ونور الهدى وهو فيلم «شباك حبيبي» على أساس أن الشركة هي التي تعاقدت وأنتجت ووزعت ولا دخل لأنور بالمسألة، واتفقنا على عمل تمثيلية بسيطة أمام ليلى مراد وهي أن يرفض أنور التمثيل أمام نور الهدى فتشجعه ليلى مراد ويمثل الفيلم وهي

راضية عنه غير مدركة لرغبته في البداية، وذلك حفاظاً على مشاعرها كزوجة وفنانة.

وفي هذا الوقت تحديداً بدأنا إنتاج وإخراج أفلامي وكان أول فيلم هو «اشهدوا يا ناس» لشادية ومحسن سرحان، ورفضت أن أخبر به أنور وتركت الأمر ليكون مفاجأة له، وبعد أن علم لامني على أنني لم أعطه دوراً في الفيلم وفى عام 1952 بعد الثورة وبعد نجاح الفيلم اقترحت عليه أن نستكمل أفلام شركته فاقترح عليَّ أن أنتج الأفلام وأن يقوم هو بالتمثيل فقط حتى لو بدون أجر، وسبب اقتراحه هذا كان نتيجة سوء حالته الصحية التي كانت تتدهور يوماً بعد يوم، المهم أنني أخذت منه أفلام «الظلم حرام وخطف مراتي»، واتفقنا على إخراج فيلم «أربع بنات وضابط» معاً، وكان قد انفصل وقتها عن ليلى مراد، وتزوجت هي فطين عبدالوهاب كما تزوج هو الفنانة ليلى فوزي، وفي يوم أردت أن أجمع بينهما مرة أخرى في فيلم واحد، فوجدت سيناريو فيلم «الحبيب المجهول»، وكنت قد فشلت في أن تعمل معي ليلى مراد في فيلم «صاحبة العصمة» من إنتاجي؛ لأنها كانت قد بدأت الإنتاج لنفسها، ومن الطرائف التي حدثت في ذلك الوقت أنني أخرجت فيلم «لحن الوفاء» لعبد الحليم وشادية ولكن صاحبة دار السينما رفضت عرض الفيلم لأنها لم تكن تعرف عبدالحليم فقلت لها إنني أصور فيلما لليلى مراد ولن أعرضه عندها إلا إذا وافقت على عرض هذا الفيلم، وتحت هذا التهديد، قبلت وعرضت الفيلم، لأجل عيون فيلم ليلى مراد القادم.

ليلى مراد ماركة مسجلة

إلى هذه الدرجة كانت ليلى مراد ماركة مسجلة، مجرد ذكر اسمها يعني الربح والنجاح والخير والبركات؟

إلى الحد الذي لا يتصوره بشر، بالفعل كانت ليلى مراد ماركة مسجلة بل محفورة في قلوب وعقول كل المصريين والعرب وحتى الأجانب. والمدهش أنه لم يكن هناك أي فيلم أو مشروع فيلم أنتجه للفنانة ليلى مراد، فقط كانت هناك أغنية «ليه خليتني أحبك» التي كانت تغنيها بلا موضوع أو أي شيء، وما قلته كان مجرد تهديد لصاحبة السينما حتى أرغمها على الموافقة على عرض فيلم «لحن الوفاء»، لكن القدر شاء أن أقابل الفنانة ليلى مراد مصادفة في شارع عبدالخالق ثروت فتلومني على أنني لم أعرض عليها العمل معي بعد انفصالها عن أنور، فقلت لها إن لديَّ فكرة فيلم جديد وحاولت مراراً وتكراراً الاتصال بها فلم أجدها، والأقدار هي التي جمعت بيني وبينها من غير ميعاد، وعلى الفور وافقت دون أن تعرف موضوع الفيلم لثقتها فيَّ، رغم أني في ذلك الوقت لم يكن عندي أي موضوع أو

حتى مجرد فكرة، كما صممت على ألا تحصل على أجر، ولكن في النهاية حصلت على نصف أجرها من شركة الإنتاج، وهو يعتبر الفيلم الوحيد في تاريخ ليلى مراد التي حصلت فيه على مبلغ ستة آلاف جنيه بدلاً من 12 ألف جنيه، المهم كل همي في تلك الفترة كان البحث عن فكرة جديدة أقدمها لليلى حتى أصدق في كلامي، وبالفعل وجدت فكرة فيلم «الحبيب المجهول» وهو الفيلم الذي حاولت في البداية أن أجمع فيه بين ليلى مراد وأنور وجدي من جديد إلى جانب حسين صدقي خاصة بعد نجاح فيلم «شاطئ الغرام»، وعليه ذهبت إلى منزل أنور وجدي ومعي العقد حيث كان يتقاضى وقتها ثلاثة آلاف جنيه عن الفيلم الواحد، فوقع على العقد قبل أن يعرف أبطال الفيلم الآخرين وبعدها سألني فقلت له إن البطلة ستكون ليلى مراد فقام بتمزيق العقد وصمم على العمل معها بلا مقابل، وفي هذه اللحظة دخلت زوجته الفنانة ليلى فوزي وعلمت بأمر الفيلم ولكننا خشينا أن نخبرها بأن البطلة هي ليلى مراد، ومرت الأيام وذهبت إليه مرة أخرى فوجدت الطبيب عنده ونصحني بألا يمثل أنور في أي فيلم قادم لأن حالته الصحية لا تتحمل ذلك، كما أكد أن مجرد مجهود التصوير خطر عليه وعلى حياته، ولا أنكر أنني في البداية لم أصدق كلام الطبيب وظننت أن السيدة ليلى فوزي علمت بأمر مشاركة ليلى مراد في الفيلم وأنها تريد بقوة إفشال الفيلم وإسقاطه للأبد، فسارعت بالتعاقد مع كمال الشناوي بدلاً منه ولكن خلال تصوير أغنية «يا طبيب القلب» كنا جميعاً منسجمين مع صوت ليلى مراد العذب ورقتها في التمثيل وتلقيت تليفونياً خبر نقل أنور إلى مستشفى دار الشفاء؛ لأن حالته خطيرة فأوقفت التصوير وجريت على المستشفى فوجدته بالفعل في حالة خطيرة كما قال لي الطبيب واستمرت زياراتي له إلى أن سافر للعلاج بالخارج وتوفي هناك.

ليلى خلف الكاميرا مطيعة للغاية

كيف كانت ليلى خلف الكاميرا؟

ليلى مراد كانت ممثلة مطيعة للغاية ومحبوبة من الجميع تنسجم مع الصغير والكبير، تعامل عامل الإضاءة بنفس الحب والاحترام الذي تعامل به مدير الاستديو، يعني بالبلدي كانت رقيقة وودودة مع الجميع ولا فرق عندها بين شخص وآخر، ومنذ أن تضع أقدامها في الأستديو إلى أن تخرج منه لا يصدر منها إلا الكلام الجميل الحنون الدافئ، لم أرها في حياتي تقرأ السيناريو بل كانت تعرف الحكاية أو الحدوتة وتصور في الوقت المحدد كالساعة التي لا تقدم ولا تؤخر، لم تكن تشترط أو تعدل أو تغير أحد الأبطال أو تطلب شيئًا

كما نسمع حالياً، كانت ملتزمة دائماً، منضبطة، مستمعة جيدة، متحدثة لبقة، ليلى مراد كانت كل هؤلاء.

هل حزنت حينما انتهت قصة غرام ليلى وأنور باعتبارك كنت صديقاً حميماً للطرفين؟ وهل حاولت الإصلاح بينهما؟

الحقيقة أنني كنت أكثر الناس حزناً على انفصالهما؛ لأني كنت أعلم علم اليقين أن كليهما يحب الآخر حباً غير عادي، والمسألة فقط لم تكن أكثر من مجرد غيرة فنية. وأذكر أن مديري مكتب أنور وجدي كانوا يخفون عليه الإيرادات الحقيقة لفيلم «شاطئ الغرام»، وكانوا يقولون له أرقاماً أقل من الأرقام الحقيقة، ولكن كنت أواجهه بالمعلومات ولا أخفي عليه شيئاً.

قيل إن أنور وجدي لم يكن يدفع لزوجته ليلى مراد أجرها عن الأفلام، فماذا تقول أنت؟

كل هذه شائعات لا أساس لها من الصحة، وأنا بنفسي كنت أكتب لها العقد وأسلمها الشيكات، وإحقاقاً للحق يجب أن أقول إن أنور وجدي كان أفضل منتج في معاملاته المالية، وكان العقد يدفع على أربع دفعات قبل التصوير وفي أول يوم تصوير كانت الشيكات تُوزع على الممثلين بمنتهى الاحترام.

الصفوة تتقلص

«الصفوة تتقلص» عبارة شديدة العمق للأستاذ محمد حسنين هيكل، لم يعد هناك أم كلثوم أو عبدالوهاب أو عبدالحليم ولا فريد ولا فوزي ولا ليلى مراد..

للأسف أنا أفتقد هذا الزمن الزاخر، والآن طغت المادة على كل شيء. هل تتصورين أن نجيب الريحاني بجلالة قدره لم يحصل في فيلم «غزل البنات» إلا على خمسة آلاف جنيه، أين هي أخلاق هذا الزمن الجميل؟ لقد ذهبت مع أصحابها، هل تصدقين أن ليلى مراد كانت تذهب إلى الاستديو قبل موعد الأوردر بساعتين لتنتظر الماكيير والكوافير، وتبدأ العمل في الساعة التي حددها المخرج بدون أي تأخير، هناك أشياء حلوة اختفت وأخلاق نبيلة اختفت وأرواح عطرة رحلت وليلى مراد هي كل هذه المواصفات بل أكثر من ذلك، فأين هي الآن التي سافرت ذات يوم ونسيت هوانا؟

كمال الشناوي..

قصة الحب تحولت إلى فيلم

لم أر في حياتي امرأة أحبت حباً جارفاً متفانياً مطلقاً مثلما أحبت ليلى مراد حبيبها وطفلها المدلل أنور وجدي رغم علمها بأنانيته وعناده وغروره وطموحه اللانهائي الذي تحول بفضل النجاحات المتتالية التي كانت هي صاحبة الفضل الأول والأخير فيها إلى طمع لا نهائي، أو ربما يكون قد امتزج بالطموح في سيمفونية لا تعرف سوى نغمة النهم الشديد للمال والرغبة الجامحة في الشهرة وحتى صار الخيط الرفيع ما بين الطموح والطمع شبه منزوع بل مقطوعًا...

قد أكون متحاملة بعض الشيء على الفنان أنور وجدي لكن حقيقة هذا ما أشعر به منذ اللحظة الأولى التي قررت فيها تأمل السيرة الذاتية لليلى مراد، فالأحداث والوقائع والتواريخ كلها مسجلة وتثبت صحة ما أقوله بل وأدونه على مسئوليتي، وأعتقد أن الفنان كمال الشناوي يتفق معي في بعض النقاط بينما نختلف في البعض الآخر، وبالطبع أنا لا أسعى لعمل مؤتمر شعبي يدين الفنان أنور وجدي وما سببه من آلام لأميرتي التي أكتب عنها «ليلى مراد» كما لا أهدف إلى المزايدة، كل ما هنالك أني أبحث عن كل الخيوط التي تمكنني من صنع نسيج ضام لمسيرة حياة نجمة من نجوم الزمن الجميل فيروق لقارئنا الكريم حين يتحسس ملمسه وألوانه المبهجة والحزينة.

وأعود للفنان كمال الشناوي لألتقط منه خيط الزمالة... زمالة الفنانة ليلى مراد داخل بلاتوهات ستوديو مصر وهي تؤدي دور البطولة أمامه في آخر تجربتين سينمائيتين لها وهما «من القلب للقلب والحبيب المجهول».

يحكي الفنان كمال الشناوي عن تجربته الفنية مع أميرة القلوب « ليلى مراد» فيقول: معرفتي بالفنانة ليلى مراد بدأت قبل سنوات من عملي معها، وذلك لأني كنت دائم الزيارة لمكتب زوجها الفنان أنور وجدي في عمارة الإيموبيليا، وكنا نجتمع معًا لمناقشة سيناريوهات الأفلام، وخاصة فيلم «ليلة الحنة» الذي كانت تشاركني فيه البطولة الفنانة شادية، ويخرجه أنور وجدي، وقد كان لأنور مستشارون منهم المخرج كمال الشيخ والمخرج فطين عبدالوهاب والمخرج حسن الصيفي والملحن منير مراد، وكانت ليلى هانم تأتي لدقائق

فتسلم علينا جميعاً وتجلس لتستمع في هدوء ثم تنصرف متمنية لنا النجاح والتوفيق، فقد كانت بحق روحاً خفيفة لا تتحدث إلا فيما يخصها ولا تتدخل في أمر إلا إذا طلب منها ذلك وفي منتهى الأدب والشياكة والرقي...» .

فعلاً كان أنور وجدي زوجاً محظوظاً كما كان مخرجاً ومنتجاً وموزعاً ومؤلفاً عبقرياً، استطاع أن يصنع لنفسه ولليلى مراد اسماً لامعاً يتصدر كل الصحف والمجلات والشوارع والأماكن العامة، كان لهما اسم كالطبل ولا يوجد مثيل لأفلامهما الاستعراضية الغنائية وعرف هو كيف يستثمر موهبتها ويشغل إمكانياتها كما كان دائماً يضعها في إطار مبهر، الحقيقة أن أنور وجدي لم يبخل في إنتاج هذه الأفلام لدرجة أنه كان يستعين مثلاً بما يقرب من ثلاثين راقصًا وراقصة من أجل إنجاز استعراض واحد فقط لا يستغرق على الشاشة إلا بضع دقائق، كان عاشقاً للفن، حريصاً على عمل دعاية كبيرة ولا أحد ينكر فضل أنور وجدي على ليلى مراد، فلقد كان هو الرأس المدبر والمخطط والمنفذ الأعظم لكل هذه النجاحات بصرف النظر عن النواحي المادية التي سببت خلافات عديدة بينهما وتطورت مع الزمن وأدت إلى انفصالهما فنياً ثم خلافهما، وأنا أتحدث هنا عن أنور وجدي الفنان وتأثيره على مسيرة ليلى مراد الفنية، ولا أنكر أنه استفاد كل استفادة ممكنة ولكنها أيضاً استفادت ونجحت وتربعت على عرش السينما بفضل الذكاء وعبقرية وحسن إدارته لها ولطاقتها .

ويستكمل الفنان كمال الشناوي كلامه قائلاً : الحقيقة أنها كانت إنسانة في منتهى الرقة، مجاملة ولكن بدون نفاق، صادقة وصريحة ولكن بدون تبجح، تحترم ذاتها وذات الآخرين ناجحة ومتألقة كفنانة، وفي غاية التواضع والبساطة تتكلم وكأنها تُغني وتُغني وكأنها تهمس، باختصار لقد كانت ليلى مراد شيئاً لا مثيل له.

في اعتقادك، ما الفيلم الذي تعتبره علامة بارزة في تاريخ الثنائي أنور وليلى؟

الحقيقة أن كل الأعمال التي شاركا فيها كانت بديعة ولكن من أجمل أفلامهما فيلم «غزل البنات» الذي استطاع فيه أنور وجدي أن يكون حاشية من العمالقة تلتف حول ليلى لتساندها وتدعمها، فهل يتصور أحد أن أنور بذكائه وموهبته استطاع أن يجمع بين الفنان الكبير نجيب الريحاني وعملاق المسرح يوسف وهبي وموسيقار الأجيال محمد عبدالوهاب في فيلم واحد، لقد كانت معجزة في وقتها لم يحققها أحد غيره، من كان يملك أن يغامر مثلما غامر هو، ومن هنا ندرك أن ليلى مراد قد لمعت وطلت طلة فنية جميلة وكبيرة من خلال أفلام أنور وجدي.

هل جمعتك مع الفنانة ليلى مراد بعض من المواقف الفنية استشففت فيها خصال تكوينها الإنساني؟

هناك تجربتان هما فيلم « من القلب للقلب» وفيلم « الحبيب المجهول» الذي هو آخر أفلامها السينمائية، وكان لي الشرف أن أشاركها الفيلمين فاقتربنا أكثر ومن معاشرتي لها كنجمة خلف الكاميرا رأيت أنها لا تنفصل عن تلك الشخصية الإنسانية الرقيقة الحساسة المهذبة التي لمست بنفسي ملامح شخصيتها الإنسانية الجميلة، وأذكر أنه في فيلم «من القلب للقلب» كانت لي حكاية طريفة؛ فهذا الفيلم قبل أن تقوم الفنانة ليلى مراد بتمثيله كان قد صور من قبل في ستوديو مصر وكانت بطلته الفنانة صباح من إخراج هنري بركات وإنتاج آسيا، ومع الأسف فلقد شب حريق مفاجئ في ستوديو مصر فاحترقت أفلام كثيرة جداً، وكان من بينها نيجاتيف هذا الفيلم لأن النيجاتيف في هذه الأيام كان قابلاً للحريق بمجرد أن تقترب النار منه. وطبعاً كانت الصدمة كبيرة جداً على فريق العمل كله، ولكن القائمين على الفيلم صمموا على التصوير مرة أخرى وذلك من شدة جمال فكرته، ولكنهم فكروا هذه المرة في الاستعانة بليلى مراد لتكون بطلته بدلاً من صباح وبنفس الأبطال الآخرين، وكان اللقاء الأول بيننا حيث اجتمعنا في تصوير الفيلم وتعرفنا على بعضنا البعض عن قرب، وكنت أعلم أخبارها وأخبار خلافاتها المالية والشخصية مع أنوروجدي، والحقيقة أني كنت حزيناً جداً لأني أحببتهما جداً مع بعضهما وانزعجت جداً حين علمت بخبر الطلاق، ولكنني كنت أتوقعه بين لحظة وأخرى؛ لأنها كانت في الفترة الأخيرة متألمة جداً بسبب أشياء كثيرة وأنا وقتها كنت أصور فيلماً مع أنور وجدي وهو فيلم «أمير الانتقام» فحاولت كثيراً أن أكون حمامة السلام وأصلح بينهما، وبالفعل نجحت في إحدى المرات وقمت بتصفية الخلافات القائمة ودعانا أنور وجدي لسهرة في الأوبرج احتفالاً بهذا الصلح وأنا بالفعل كنت متدخلاً في حياتهما بشدة، وإحقاقاً للحق فقد خسرا بعضهما، وتاه أنور وجدي من بعد ليلى مراد كما تاهت ليلى مراد بعد أنور وجدي، وهي كانت فترة مزدهرة في تاريخ السينما والحياة معاً ولكن الأشياء الحلوة دائما عمرها قصير والورد يذبل دائما، ومع ذلك ورغم قصر الفترة بل وانتهائها بالانفصال فقد شكلت منعطفًا كبيرًا في تاريخ الفن، فمثل هذه الأفلام ساهمت في قوة العرب، والبلاد العربية؛ لأن الأفلام كونت وحدة عربية إضافة إلى الوحدة التي كنا ننشدها، ويكفي أن أقول إنه ما من بلد زرته إلا وقابلت فيه من قال لي إنهم يشاهدون أفلام زمان بنفس الشغف الذي شوهدت به لأول مرة، ويسألون عن الأفلام الجميلة التي قدمت في الماضي والثنائيات العظيمة ليلى مراد وأنور وجدي، شادية وكمال الشناوي، فاتن حمامة وعماد حمدي، ماجدة ويحيى شاهين؛ لأن كل هذه الثنائيات علقت في أذهان الناس، وما

زالت حتى هذه اللحظة رغم إقبالهم على الجديد والتطور فإذا عقدنا مقارنة بسيطة فسنجد أنه في الماضي كان هناك مشاهدون لكل نوع من الأفلام، فكان هناك اللون الكوميدي والتراجيدي والرومانسي والغنائي والاستعراضي والبوليسي أما الآن فلا يوجد سوى طبعة واحدة بمذاق واحد لمشاهد واحد.

زمان يا فن

هل تفتقد هذه المرحلة من تاريخ السينما المصرية ؟

نعم أفتقدها، فكل موسم كانت تعرض نوعيات كثيرة. فالكل كان يذهب للسينما عدة مرات كل أسبوع؛ لأن نوعية الأفلام كانت مختلفة، ومن أسباب حزني أيضا على أنور أنه كان من المنتجين الذين لا يتكررون، كان يعلم متطلبات السوق ويفهم عمله جيداً وكان كل فيلم جديد يقدم فيه وجبة شهية للمشاهد، أين هي الآن مثل هذه الأفلام، فهذه الأيام أصبح كل شيء «تيك أواي» حتى الفن أصبح مثل خدمة التوصيل للمنازل.

هل صحيح أنك فكرت في عمل فيلم سينمائي يحكي قصة حياة أنور وجدي وليلى مراد ؟

بالفعل نفذت هذا المشروع وكان اسم الفيلم «طريق الدموع» ، ولكن للأسف لم يعرض هذا الفيلم في مصر، خاصة بعد أن اشترته شبكة تليفزيون عربية لأن التليفزيون المصري عرض عليَّ وقتها أسعاراً زهيدة للغاية لا تتناسب مع تاريخي ولا مع تاريخ الفيلم وثراء إنتاجه، كان الفيلم بطولتي وأردت أن أجمع بين زوجتي أنور وجدي وهما ليلى مراد وليلى فوزي، ولكن ليلى مراد رفضت المشروع وأكدت أنها لا يمكن أن تلتقي مع ليلى فوزي في فيلم واحد فاستعنت بصباح بجوار ليلى فوزي، وقدمت فيلما عن قصة كفاح أنور منذ أن كان كومبارسا ناشئا إلى أن أصبح الممثل والمخرج والمنتج والموزع الأول في مصر، كما قدمت جوانب من حياتهما معا ثم تجربة زواجه الأخيرة من الفنانة ليلى فوزي، وأنا أتمنى أن يعرض الفيلم في مصر لأنه يحتوي على وقائع وأحداث حقيقية حدثت بالفعل، كما يتضمن تاريخ حياة أشهر ثنائي فني في تاريخ السينما المصرية أنور وجدي وليلى مراد.

شفيق فريد مدير أعمال الفنانة ليلى مراد

عاشت حسنة النية

ورحلت مسلوبة الحقوق

«اضحك كركر اوعى تفكر، حلوة الدنيا زي السكر»

كان هذا شعارها وموالها، تضحك من قلب قلبها ولا تفكر لأن الدنيا حلوة وزي السكر. أبداً لم تكن دنياها حلوة ولم تكن مثل السكر، صحيح نجحت وتألقت واغتنت واشتهرت وتربعت على القمة الفنية ولكنها في الوقت نفسه ذاقت مرارة الهزيمة وطعنة الخيانة ولوعة الفراق وألم الوحدة على المستوى الإنساني، دفعت أثماناً باهظة لكي تصعد وفي كل مرة تعلو فيها درجة تهبط أخرى في قلبها، فما أن تتقدم خطوات إلى الأمام حتى تتأخر دقاتها للخلف، معادلة غير عادلة على الإطلاق فهل ثمن النجاح والتألق حيرة البال وأوجاع القلب؟ فليذهب النجاح إلى الجحيم وتبقى للإنسان راحته وصحته، فماذا ينفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه؟ قالها عيسى عليه السلام، وأكررها أنا اليوم . لمن تأخذه الشطآن بعيداً عن دار سلامته، لمن ينجرف مع التيار تاركاً أصل عقيدته .. لمن يهوي فيسقط لمن يعشق فيموت، لمن يهمه الأمر.

هل كانت ليلى مراد تعي هذه الحقائق ؟

أظنها كانت تدرك أنها حياة متقلبة أو بمعنى عامي أكثر دقة «قلابة» . لا ترسو على بر فما أن تعطيك باليمنى حتى تأخذ أحلى ما عندك باليسرى، هكذا الدنيا مغامرة كبيرة الداخل فيها مفقود والخارج منها مولود، وليس العكس. لم تحسب ليلى مراد حساب الأيام بل تركت الدنيا لتسير على جناح اليمامة وعاشت حسنة النية وماتت مسلوبة الحقوق . نعم فلقد استغل الجميع طيبتها، الكل شرب من نهر عطائها ورحل .. عاشت للخير وتنكر لها الغير وبقيت هي وحيدة حزينة زاهدة راضية، مكتفية متصالحة مع نفسها متسامحة مع الآخرين، وحتى لا تتصور أنني منحازة لها، فالسيد شفيق فريد مدير أعمالها يؤكد صحة كلامي بل ويقول أكثر منه خاصة فيما يختص بتعاملاتها المادية التي كانت لا تفقه فيها شيئا، صحيح أنها كانت تشترط على المنتجين الحصول على كامل مستحقاتها، ولكن لم تكن تسعى للربح لنفسها بقدر ما كانت تجاهد من أجله لتضمن حياة مستقرة آمنة لعائلتها باعتبارها العائل الوحيد- كما قلنا - لهم في الدنيا، كانت تدافع عن حقوقهم ومستقبلهم وعن مصيرهم وليس عن

حقوقها ومستقبلها ومصيرها.

ويقول الأستاذ شفيق فريد : إن هذا الكلام صحيح إلى حد بعيد، ليلى هانم كانت كائناً قنوعا جدا، مسالمًا، يحلم براحة البال أكثر من رفاهية الحياة، كانت المادة هي آخر شيء تفكر فيه، ولم تكن تجيد فن التعاملات المادية بل تركت ذلك لمتخصصين، في البداية كان والدها هو الذي يتولى إدارة أعمالها وتوقيع العقود وتحديد الأجر، ثم تولى شقيقها إبراهيم هذه المسئولية خصوصاً بعد مرض والدها ووفاته، وفي تلك الأثناء بدأت علاقتي بليلى هانم في أواخر عام 1953 حينما أنشأت هي وأشقاؤها الشركة خاصة بالإنتاج السينمائي باسم «أفلام الكواكب» ، فكرت في إنشائها فور طلاقها من الفنان أنور وجدي وانسحابها من شركته، وبدأت الشركة نشاطها ، وبدأت العلاقة، بيننا تقوى، وتتقارب واستمرت حتى سافر أخوها إلى الخارج في شهر ديسمبر عام 1956، ومنذ ذلك التاريخ بدأت الصلة تكون مباشرة لأن إبراهيم مراد هو الذي كان يتولى قبل ذلك إدارة أعمالها وتقريبا كل شئونها الخاصة بعد أن ترك العمل في شركة الأفلام المتحدة فور طلاق شقيقته من أنور وجدي.

ويكمل شفيق فريد حديثه قائلا: وعرض فيلم «الحياة الحب» في سينما الكورسال، وحقق نجاحا هائلا لأنه جاء بعد فترة طويلة من انقطاعها عن التمثيل، وأتذكر أنه كان لسينما الكورسال باب حديدي، ومن شدة الزحام وإقبال الناس والتفافهم حول ليلى مراد سقط وتجمهر الناس من كل جانب وجلسنا لساعات في انتظار لحظة الخروج من الباب الخلفي، وفى تلك الأثناء بدأت اصطحبها في جولة لدور السينما وأقيم لها عروضاً خاصة للصحفيين والنقاد، إضافة إلى عروض ليالي الافتتاح التي كنت أصمم على حضورها رغم خجلها من مواجهة الناس حتى يتزايد الإقبال على الفيلم . والحقيقة أنها كانت شخصية طيبة جدا ومتواضعة لأبعد الحدود، منصتة جيدة، يشعر المتحدث معها بأنها تلميذة نجيبة مؤدبة تستمع لوجهات النظر الأخرى وتقتنع بها على الفور وتبدأ في تنفيذها بمنتهى الإخلاص. وأنا لم أكن بالنسبة لها مجرد مدير أعمال، من الجائز في البداية أني كنت كذلك ولكن مع مرور الأيام أصبحت شقيقا لها عوضا عن إبراهيم، وصديقا لها عوضاً عن كثيرين، أشجعها دائما وأعطيها الدافع والثقة التي تحتاج إليهما رغم عظمتها الفنية والإنسانية.

هل كانت شركة «الكواكب» تنتج أفلاماً لغير ليلى مراد ؟

بالطبع أول فيلم كان «أنت حبيبي» أنتجناه لمنير مراد وشادية ثم فيلم «الحياة الحب» ،

بعدها «نهارك سعيد»، وبعد سفر إبراهيم مراد الذي كان العمود الفقري للشركة توقفنا عدة سنوات ثم أنتجنا فيلم « رسالة إلى الله» للفنانة مريم فخر الدين.

لم تكن من بطلات فطين

سؤال ألح عليَّ كثيرًا وأنا أكتب عن سيرة ليلى مراد الفنية، في اعتقادك لماذا لم يخرج لها فطين عبد الوهاب فيلماً واحداً ؟

الأستاذ فطين عمل كمساعد مخرج في كثير من أفلام ليلى مراد، ولكن الأستاذ فطين اتجه بعد ذلك لإخراج الأفلام الكوميدية، لكن هذا لم يكن يتناسب مع قدر الفنانة ليلى مراد، وأيضا هي حين تزوجت من الأستاذ فطين كانت قد قررت أن تتفرغ لتربية أولادها وتصبح زوجة فقط، فهي التي اختارت ذلك ووصلت إليه عن قناعة دون أن يرغمها أحد، كما أعتقد أن الأستاذ فطين عرض عليها أكثر من فكرة ولكن أظن أنها كانت قد اكتفت بما قدمته وفضلت الراحة والاستقرار الأسري بعيداً عن الأضواء.

وماذا حدث لشركة الكواكب بعد اعتزال منتجتها وفنانتها ليلى مراد ؟

بعد حل الشركة طلب منا الأستاذ محمد عبد الوهاب أنا وإبراهيم مراد أن ننضم لشركة « صوت الفن» التابعة لها، وهذه الشركة كانت تعمل في شقين هما السينما والغناء، بمعنى أنها كانت تبيع شرائط الكاسيت وفي نفس الوقت تنتج أفلاما سينمائية، وبالفعل انضممنا للشركة الجديدة ولم تكن ليلى مراد شريكة معنا.

وهل تأثرت صلتك بليلى مراد بعد أن تم ضم شركة «الكواكب» إلى «صوت الفن»؟

إطلاقاً، فلقد استمرت صلتي بليلى مراد إلى أن توفيت وظلت على مدى العمر علاقة مستمرة ودائمة، وكنت أقوم بكل أعمالها وأتولى كل شئونها المالية خاصة تعاملاتها مع الضرائب وشئون العمارة المالكة لها وكل ما يختص بالنواحي المالية، كما أتذكر أني اقترحت فكرة عمل أكثر من شريط كاسيت يتضمن أجمل وأحلى أغاني ليلى مراد من أغاني شركة «صوت الفن»، وأعطينا صوت الفن حق استغلالها وتقاضت ليلى هانم مقابل ذلك.

بعد احتجابها أو اعتزالها الأضواء هل كانت تزور شركتكم الجديدة بمعنى هل ظلت على صلة بالفن والفنانين أم بعدت عن كل ما يمت للفن بصلة.

أولا الفنانة ليلى مراد كانت من أقرب أصدقاء الأستاذ عبد الوهاب، كانت تحبه وهو

يحبها ويحترمها، ويحافظ على صلته الدائمة بها، وكثيرا ما جاءت إلى شركة «صوت الفن» في زيارات خاصة سواء لي أو للأستاذ عبد الوهاب.

وهل سعدت بالأشرطة التي أنتجتها لها صوت الفن ؟

للحق كان هذا بالنسبة لها شيئا بسيطاً بعد المجد الذي عاشته في حياتها، وأنا كنت قبل ذلك قد أعطيت مجموعة من أغنياتها لشركة «صوت الحب»، ولم تكن النية موجودة لديها لعمل ذلك إلا حينما فكرت أنا وقد حققت هذه الأشرطة مبيعات عظيمة جداً رغم ابتعادها واعتزالها وتحولها من فنانة متربعة على عرش الغناء والسينما إلى سيدة تعيش حياة عادية صورة ودمعة وذكرى.

أرى صورة معلقة على جدران مكتبك لليلى مراد وابنيها أشرف وزكي، فما مناسبة هذه الصورة وما ذكراها عندك ؟

هذه الصورة لها ذكرى عطرة عندي، ووقتها كنا في زيارة إلى بيروت وكانت مجرد فسحة عادية تجولنا فيها والتقطنا بعض الصور لكل الأماكن السياحية والأثرية في بيروت، ولقد كانت هذه الإجازة فور انتهاء أشرف وزكي من امتحانات المرحلة الإعدادية.

إذن العلاقة تحولت بفعل الظروف إلى شكل عائلي ؟

طبعًا فلقد كنا نتزاور دائما وكانت تأتي إلى بيتي وتجلس وسط عائلتي الصغيرة كواحدة منا، كذلك كنت أزورها في بيتها وكأني خال ولديها فضلا عن الرحلات الصيفية حيث كنت أقضي في كابينتها بالمعمورة أحلى الأمسيات الصيفية.

وماذا عن تعاملاتها المادية ؟

قلت إنها لم تكن تجيد فنون التعامل في هذا المجال، ولم تكن تدقق أبداً في مالها فقط تتذكر ما عليها، وأقولها بصراحة إنها خدعت كثيراً لأنها كانت تثق في الناس بدرجة كبيرة، وهؤلاء عرفوا كيف يستغلون طيبتها وحسن نواياها.

أعرف أنه قد عرض على الفنانة ليلى مراد تمثيل أكثر من فيلم بعد اعتزالها .. في رأيك لِمَ كانت دائمة الرفض لمثل هذه العروض؟

الحقيقة أن الكثيرين قد عرضوا عليها العودة للتمثيل مثل رمسيس نجيب وحسين كمال وصلاح أبو سيف، وعرض عليها أكثر من فيلم بعد «الحبيب المجهول»، ولكنها رفضت رفضا قاطعا؛ لأنها كانت تريد أن تستمتع بحياة الأم والزوجة وربة المنزل، فالأمر لم يكن له أي علاقة بالزمن أو بالزهد والاكتئاب أو كل ما قالوه عنها، بل إن الحكاية كلها تتلخص في

أنها اكتفت بما حققته ،وهذه حرية شخصية فقد يصل الإنسان في بعض الأحيان إلى مرحلة التشبع، وهي وصلت لها بعد سنوات طويلة من المجد واكتفت بذلك.

هل تتذكر أيا من المواقف الإنسانية لليلى مراد ؟

ليلى هانم لها مواقف إنسانية كثيرة يصعب عليَّ حصرها، ولكن كل ما أستطيع أن أقوله إنها كانت إنسانة شهمة جدا تساعد الآخرين دائما وتكون عونا لهم حتى في أصعب لحظات عمرها، وأذكر أني قمت مرة بإجراء جراحة عاجلة ولم أخبر أحداً وفوجئت بها تقف بجوار سريري وتنتظر لحظة خروجي من غرفة العمليات رغم أنها كانت نادرة الخروج من المنزل، ولا تهوى التنقلات ولا تظهر كثيراً في المناسبات الاجتماعية إلا في أضيق الحدود، ولكنها كانت صديقة مخلصة لكل أصدقائها حتى لمن تنكروا لها في الأزمات.

اسأل عليَّ .. اطلب عينيَّ

هل التقيت بها في أيامها الأخيرة ؟

آخر مرة سمعت صوتها كانت قبل وفاتها بثلاثة أيام حيث كانت تعيش حالة انطواء في هذه الفترة من عمرها ولم تكن لها أية رغبة في أي شيء، وفي اليوم الأخير قبل وفاتها تلقيت مكالمة من ابنها زكي وأخبرني بأنها دخلت المستشفى وتعاني من هبوط حاد في الدورة الدموية وفي غيبوبة تامة، فذهبت على الفور إلى مستشفى مصر الدولي فوجدتها في العناية المركزة. حاولت الدخول لأراها ولكن الأطباء منعوني، ومع إصراري على الدخول سمحوا لي بإلقاء نظرة عليها من بعيد وكانت هذه هي آخر نظرة وآخر مرة أراها فيها، وفي اليوم التالي ذهبت لأطمئن عليها ففوجئت بالخبر المشئوم، وكانت مفاجأة قاسية على نفسي وعلينا كلنا فمنذ ذلك الوقت لم أستطع دخول بيتها لأني لا أحتمل فكرة عدم وجودها.

وردة جاردن سيتي

ليلى مراد كانت كثيرة التنقلات، عاشت في مناطق كثيرة ولم تستقر في بيت واحد أكثر من خمس سنوات، هل تتذكر أماكن سكنها ؟

نعم لقد عاشت في البداية قبل أن تتزوج في شارع الميرغني بمصر الجديدة، ثم انتقلت إلى عمارة الإيموبيليا بعد زواجها من أنور وجدي، وبعد الطلاق انتقلت لشقة في عمارة «عزيز بحري» في ميدان التحرير، ومنها إلى شارع الجيزة بعمارة الأصيل حتى بنت عمارتها في جاردن سيتي والتي أطلقوا عليها اسم «وردة جاردن سيتي» ، فالعمارة كان لها شكل

وطابع خاص كأنها وردة متفتحة، وهي تقع في شارع جمال الدين أبو المحاسن رقم 16، واستمرت فيها حتى عام 1974 تقريبا ثم انتقلت لفيلا صيدناوي بشارع البرجاس خلال فترة زواجها من الأستاذ فطين عبد الوهاب، وبعد أن وقع الطلاق بينهما انتقلت إلى عمارات سيف الدين في جاردن سيتي وعاشت في هذا المكان مع ابنها زكي إلى أن توفيت، وذلك بعد أن باعت عمارتها التي كنت أول المعارضين لعملية بيعها، فلقد كانت خسارة كبيرة جدًا، وكان الأستاذ فطين قد طلب مني بيعها مراراً ولكني كنت أماطل حتى رضخت للطلب في النهاية.

هل العمارة لا تزال قائمة حتى الآن؟

نعم العمارة لا تزال موجود حتى الآن ولا تزال تعرف باسم ليلى مراد.

هل تريد أن تسجل شيئا عن ليلى مراد للذكرى والتاريخ؟

نعم أريد أن أقول إن أكثر من محطة فضائية عرضت على ليلى هانم تسجيل حلقات عن حياتها تتحدث فيها عن محطات في حياتها فكانت ترفض بشدة، وأحيانا تقبل بشرط ألا تقول كلمة واحدة عن حياتها الخاصة، وتكتفي بأن تتحدث فقط عن المحطات الفنية، ويتم الاتفاق ونكتب ذلك في العقد ويتم الاتفاق مع المحطات بمقابل مغر جدا ثم تعود من جديد، وتتراجع عن كل شيء؛ لأنها كانت تشعر بأن حياتها بما فيها من محطات فنية وشخصية لا تنفصل عن بعضها فهي ملك لها أما الأفلام فهي ملك للجمهور.

بدأت في ١٩٣١ وتوقفت ١٩٥٥ :

obeikandl.com

أفــلام ليـلى مـــراد مـن «يحيـــا الحب»
إلى «الحبيب المجهول»

فيلم « يحيا الحب» :

بطولة : ليلى مراد ـ محمد عبد الوهاب ـ محمد عبد القدوس ـ زوزو ماضي ـ عبد الوارث عسر.

قصة وسيناريو وحوار : عباس علام

إخراج : محمد كريم

إنتاج وتوزيع : أفلام شركة بيضافون

تاريخ العرض : 24/ 1/ 1938 بسينما رويال

فيلم « ليلى ممطرة» :

بطولة : ليلى مراد ــ يوسف وهبي – فردوس محمد ــ إستيفان روستي ــ تحية كاريوكا. سيناريو وحوار : يوسف وهبي تأليف وإخراج : توجو مزراحي إنتاج وتوزيع : شركة الأفلام المصرية تاريخ العرض : 12 / 10/ 1939 بسينما الكوزموجراف.

فيلم « ليلى بنت الريف» :

بطولة : ليلى مراد ــ يوسف وهبي ــ أنور وجدي ــ زوزو شكيب ــ بشارة واكيم ــ عبد السلام النابلسي. ألحان : رياض السنباطي تأليف : وإخراج : توجو مزراحي إنتاج : أفلام توجو مزراحي ــ توزيع : بهنا فيلم تاريخ العرض : 2/ 1/ 1941 بسينما الكوزموجراف

فيلم « ليلى بنت المدارس» :

بطولة ليلى مراد ــ يوسف وهبي ــ محسن سرحان ــ ميمي شكيب ــ بشارة واكيم. قصة وحوار : يوسف وهبي. سيناريو وإخراج : توجو مزراحي. ألحان : زكريا أحمد ــ محمد القصبجي ــ رياض السنباطي إنتاج : شركة الأفلام المصرية ــ توزيع: بهنا فيلم. تاريخ العرض: 16/ 10/ 1941 بسينما الكوزموجراف.

فيلم « ليلى» :

بطولة : ليلى مراد ــ حسين صدقي ــ فؤاد فهيم ــ عبد السلام النابلسي ــ فرودس محمد.

obeikandl.com

قصة : أليكسندر دوماس (غادة الكاميليا) سيناريو وإخراج : توجو مزراحي. إنتاج : شركة الأفلام المصرية ــ توزيع بهنا فيلم تاريخ العرض : 2/ 4/ 1942 بسينما الكوزموجراف.

فيلم « شهداء الغرام» :

بطولة : ليلى مراد ــ إبراهيم حمودة ــ أنور وجدي ــ محمود المليجي ــ عبد الفتاح القصري ــ ماري منيب. قصة مأخوذة من الأدب الفرنسي روميو وجيولييت سيناريو وإخراج: كمال سليم إنتاج : جبرائيل تلحمي ألحان : محمد القصبجي ـ رياض السنباطي. تاريخ العرض 19/ 10/ 1944 بسينما الكورسال.

فيلم : « ليلى في الظلام» :

بطولة : ليلى مراد ـ حسين صدقي ـ أنور وجدي ـ أمينة رزق – حسن فايق ـ محمود المليجي. قصة وسيناريو وحوار : توجو مزراحي. إخراج : توجو مزراحي. إنتاج : شركة الأفلام المصرية تاريخ العرض : 19/ 10/ 1944 بسينما الكورسال .

فيلم : « ليلى بنت الفقراء» :

بطولة : ليلى مراد ــ أنور وجدي ــ سليمان نجيب ــ زوزو حمدي الحكيم ــ بشارة واكيم– ماري منيب. سيناريو وحوار : أنور وجدي وبديع خيري. إخراج : أنور وجدي. كلمات الأغاني : حسين السيد ــ أحمد رامي ــ مأمون الشناوي ــ بيروم التونسي. ألحان: محمد البكار ــ عبد الحميد عبد الرحمن ــ زكريا أحمد. إنتاج : شركة الفيلم المصري أنور وجدي وشركاه. تاريخ العرض : 5/ 11/ 1945 بسينما ستوديو مصر.

فيلم « الماضي المجهول» :

بطولة : ليلى مراد ـ أحمد سالم ـ شرفنطح ـ سيد بدير ـ أمينة نور الدين ـ فردوس محمد– بشارة واكيم. قصة وسيناريو وحوار : أحمد سالم. إخراج : أحمد سالم. كلمات الأغاني: أحمد رامي. ألحان : محمد عبد الوهاب ـ محمد فوزي ـ عبد الحليم نويرة. إنتاج : أفلام أحمد سالم. تاريخ العرض : 8/ 4/ 1946 بسينما رويال.

فيلم : « ليلى بنت الأغنياء» :

بطولة: ليلى مراد– أنور وجدي ـ علوية جميل ـ سعيد أبو بكر ـ حسن فايق – بشارة واكيم. سيناريو وحوار: أنور وجدي وبديع خيري. إخراج : أنور وجدي. إنتاج : شركة الأفلام المصرية. تاريخ العرض : 28/ 10/ 1946 بسينما الكورسال.

فيلم : «ضربة القدر»:

بطولة : ليلى مراد ـ يوسف وهبي ـ محمود المليجي ـ يحيى شاهين. ـ زوزو ماضي ـ مختار عثمان. عن قصة : «مادلين فبرات» لإميل زولا. سيناريو وإخراج : يوسف وهبي. إنتاج : ستوديو مصر. تاريخ العرض 6/ 7/ 1947 بسينما ستوديو مصر.

فيلم : «شادية الوادي»:

بطولة : ليلى مراد ـ يوسف وهبي ـ كارم محمود ـ أحمد البارودي ـ شفيق نور الدين ـ عبد السلام النابلسي ـ حسن البارودي. تأليف وإخراج : يوسف وهبي. كلمات الأغاني : أحمد رامي ــ أبو السعود الإبياري ــ مصطفى عبد الرحمن. ألحان : رياض السنباطي. إنتاج وتوزيع : نحاس فيلم. تاريخ العرض : 9/ 12/ 1947.

فيلم « خاتم سليمان»:

بطولة : ليلى مراد ــ زكي رستم ــ يحيى شاهين ــ عبد العزيز خليل ــ فؤاد الرشيدي- مختار عثمان. تأليف وإخراج : حسن رمزي. موسيقى وألحان : رياض السنباطي - محمد القصبجي - عبد الحليم نويرة. إنتاج وتوزيع : شركة أفلام النصر. تاريخ العرض: 27/ 2/ 1947 بسينما رويال.

فيلم : « ليلى بيت الفقراء»:

بطولة : ليلى مراد ــ أنور وجدي ــ زوزو شكيب ــ حسن فايق ــ بشارة واكيم ــ استفان روستي ــ محمود شكوكو ــ إسماعيل ياسين ــ سعيد أبو بكر. قصة : محمد كامل حسن المحامي. حوار : أبو السعود الإبياري. سيناريو وإخراج : أنور وجدي. ألحان : محمد القصبجي ــ محمد فوزي. إنتاج : شركة أفلام أنور وجدي. تاريخ العرض : 6/ 10/ 1947 بسينما ستوديو مصر.

فيلم : «عنبر» :

بطولة ليلى مراد ــ أنور وجدي ــ عبد الوارث عسر ــ حسن فايق ــ عزيز عثمان ــ إسماعيل يسن ــ استفان روستي. قصة وحوار : محمد كامل حسن المحامي. سيناريو وإخراج : أنور وجدي. إنتاج : شركة الأفلام المتحدة. تاريخ العرض : 1/ 11/ 1948 بسينما ستوديو مصر .

فيلم « الهوى والشباب»:

بطولة : ليلى مراد ــ أنور وجدي ــ عزيز عثمان ــ شكوكو ــ حسن فايق ــ استيفان

روستي. قصة وسيناريو : أبو السعود الإبياري ــ نيازي مصطفى. حوار : أبو السعود الإبياري. إخراج : نيازي مصطفى. إنتاج : أفلام رابحة. تاريخ العرض : 5/ 10/ 1948 بسينما رويال.

فيلم : «المجنونة» :

بطولة : ليلى مراد ــ محمد فوزي ــ إسماعيل يس ــ سيد بدير ــ ماري منيب ــ زينات صدقي. قصة وحوار - : محمد كامل حسن المحامي. سيناريو وإخراج : حلمي رفلة. ألحان: محمد فوزي. كلمات الأغاني : مأمون الشناوي. إنتاج : شركة أفلام محمد فوزي . توزيع : بهنا فيلم تاريخ العرض : 31/ 1/ 1949 بسينما ستوديو مصر.

فيلم : « غزل البنات» :

بطولة : ليلى مراد - أنور وجدي - نجيب الريحاني ــ فردوس محمد ــ عبد الوارث عسر- زينات صدقي - محمود المليجي - سعيد أبو بكر. قصة : بديع خيري. سيناريو وإخراج : أنور وجدي. حوار : بديع خيري - نجيب الريحاني. موسيقى وألحان : محمد عبد الوهاب. إنتاج وتوزيع : شركة الأفلام المتحدة. تاريخ العرض : 22/ 9/ 1949 بسينما ستوديو مصر.

فيلم «شاطئ الغرام» :

بطولة : ليلى مراد ــ حسين صدقي ــ محسن سرحان ــ ميمي شكيب ــ تحية كاريوكا- سميحة أيوب - استفان روستي ــ صلاح منصور. قصة وسيناريو وإخراج : هنري بركات. حوار : على الزرقاني ويوسف عيسى. موسيقى وألحان : محمد فوزي ــ أحمد صدقي - محمد عبد الوهاب. إنتاج : أفلام عبده نصر (عبد الحليم نصر). تاريخ العرض : 20/ 2/ 1950 بسينما ستوديو مصر.

فيلم «آدم وحواء» :

بطولة : ليلى مراد - أحمد صدقي - ماري منيب ــ إسماعيل يس ــ سميحة توفيق. حوار: فتحي أبو الفضل. سيناريو وإخراج : حسين صدقي. إنتاج : شركة الأفلام المصرية. تاريخ العرض : 5/ 7/ 1951 بسينما حديقة النصر - متروبول ــ رويال.

فيلم : «حبيب الروح» :

بطولة : ليلى مراد ــ يوسف وهبي ــ أنور وجدي ــ ميمي شكيب ــ فرودس محمد- وداد حمدي. تأليف وإخراج : أنور وجدي. كلمات الأغاني : حسين السيد. ألحان :

أحمد صدقي- رياض السنباطي. إنتاج وتوزيع : شركة الأفلام المتحدة. تاريخ العرض : 8/ 10/ 1951 بسينما الكورسال.

فيلم : « ورد الغرام» :

بطولة : ليلى مراد ــ محمد فوزي ــ سراج منير ــ جمالات زايد ــ سليمان نجيب ــ نور الدمرداش ــ وداد حمدي. سيناريو : هنرى بركات ويوسف عيسي. حوار : بديع خيري. الأغاني : مأمون الشناوي ــ بديع خيري ــ فتحي قورة ــ عبد الفتاح مصطفى. ألحان : محمد فوزي. إنتاج : أفلام محمد فوزي. تاريخ العرض : 10/ 12/ 1951 بسينما ستوديو مصر.

فيلم «سيدة القطار» :

بطولة : ليلى مراد ــ عماد حمدي ــ يحيى شاهين ــ زينب صدقي ــ عزيزة حلمي ــ سناء جميل ــ سراج منير ــ فردوس محمد. قصة وحوار : نيروز عبد الملك. سيناريو وإخراج: يوسف شاهين. أغاني : بيرم التونسي. ألحان : محمود الشريف. إنتاج : أفلام عبده نصر توزيع بهنا فيلم. تاريخ العرض : 28/ 8/ 1952.

فيلم : « من القلب للقلب» :

بطولة : ليلى مراد ــ كمال الشناوي ــ دولت أبيض ــ سراج منير ــ محمود المليجي ــ زوزو نبيل ــ عبد الرحيم الزرقاني. قصة وحوار : يوسف عيسى. سيناريو وإخراج : هنري بركات. الأغاني : صالح جودت ــ مأمون الشناوي ــ فتحي قورة ــ عبد الفتاح مصطفي. ألحان : علي فراج ــ أحمد صدقي ــ محمود الشريف. إنتاج وتوزيع : آسيا شركة لوتس فيلم. تاريخ العرض : 27/ 1/ 1952 بسينما ستوديو مصر.

فيلم : «ليلى بنت الأكابر» :

بطولة : ليلى مراد ــ أنور وجدي ــ زكي رستم ــ نبوية مصطفى ــ سليمان نجيب ــ زينات صدقي ــ إسماعيل يس. قصة وحوار : أبو السعود الإبياري. سيناريو وإخراج : أنور وجدي. كلمات الأغاني : حسين السيد ــ يوسف صالح ــ الإبياري. ألحان : رياض السنباطي ــ أحمد صدقي ــ يوسف صالح. إنتاج وتوزيع : شركة الأفلام المتحدة ــ أنور وجدي. تاريخ العرض : 9/ 2/ 1953 بسينما كورسال.

فيلم : «الحياة الحب» :

بطولة : ليلى مراد ــ يحيى شاهين ــ محمود المليجي ــ ماري منيب ــ زينب صدقي ــ منسي فهمي. حوار : يوسف جوهر. تأليف وإخراج : سيف الدين شوكت. كلمات الأغاني :

مأمون الشناوي ــ حسين السيد. ألحان : محمد عبد الوهاب ــ محمود الشريف. الموسيقى التصويرية : أندريه رايدر. إنتاج وتوزيع : شركة الأم الكواكب ــ ليلى مراد. تاريخ العرض: 5/ 4/ 1954 بسينما الكورسال.

فيلم : «الحبيب المجهول» :

بطولة : ليلى مراد ــ حسين صدقي ــ كمال الشناوي ــ سراج منير ــ رجاء يوسف ــ عبد السلام النابلسي ــ علوية جميل ــ مختار عثمان. قصة : عبد الرحمن الشريف. حوار : إبراهيم الورداني. سيناريو وإخراج : حسن الصيفي. كلمات الأغاني : فتحي قورة ــ مأمون الشناوي. ألحان : رياض السنباطي ــ منير مراد ــ كمال الطويل. إنتاج وتوزيع : أفلام مصر الجديدة. تاريخ العرض : 23/ 5/ 1955 بسينما الكورسال ــ لوكس.

obeikandl.com

يارايحين للنبي الغالي هنيالكم وعقبالي

قصة إسلام ليلى مراد على يد الشيخ أبو العيون

«يا ريتني كنت وياكم أروح للهادي
وأزوره وأمد الإيد لشباكه وقلبي
يتملي بنوره وأحج وأطوف سبع
مرات وألبي وأشوف منى وعرفات»

كانت تتمنى أن تزور الحبيب المصطفى النبي الغالي خاتم الأنبياء وأشرف المرسلين هناك في الحرم الشريف أطهر بقاع الأرض حيث الهدى والنور والبكاء على ستار الكعبة والاغتسال من هموم الكون، لكن نداء الخالق كان أسرع حيث فارقت الروح الجسد وعادت النفس المطمئنة إلى ربها راضية مرضية لتدخل في عباده وتدخل جناته .. والسؤال الذي يفرض نفسه بقوة هل يحق لأحد أن يتدخل في علاقة العبد بربه ؟ ألم يستمع أحدكم لما ورد في البخاري ومسلم عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «إذا كفر رجل أخاه فقد باء به أحدهما» .

لقد رحلت الفنانة ليلى مراد عن دنيانا وهي مسلمة مؤمنة مصرية صميمة ولا صحة لما قيل من اتهامات وافتراءات عن مصداقية وحقيقة انتمائها لمصر.

ماتت ليلى مراد وتركت على سريرها في البيت كتاب الله العزيز الذي كانت تقرأ آياته البينات ليل نهار، تمنت أن تختمه في الأيام الأخيرة قبل أن تلقى ربها . كان يطيب لها سماع تلاوة القرآن الكريم بصوت الشيخ النقشبندي وتحديداً سورة «نوح» وهي التي تمنت أن تكرم بالدفن إلى جوار ضريح السيدة نفيسة – رضي الله عنها – وقد كان وليس هذا فقط بل حين شرفت بدخول الإسلام اجتهدت في البحث والإلمام بأصول الدين الحنيف ليصبح اعتناقها على أسس وقواعد سليمة، وكانت تجلس بالساعات أمام التليفزيون لتستمع إلى دروس الشيخ الشعراوي وتفسيراته العميقة التي يبسط فيها المعاني العظيمة لآيات القرآن الكريم، هكذا عاشت ليلى مراد وآمنت ولقيت ربها.

قصة إسلامها

قصة إشهار الفنانة ليلى مراد إسلامها تعود إلى الأربعينيات وتحديداً سنة 1946 أي بعد

عام واحد من زواجها من الفنان أنور وجدي.

يحكى أنها كانت أسعد أوقات حياتها على الإطلاق تلك التي كانت تسلم أذنيها فجر كل يوم لأذان المسجد الذي كان يقع قريبا من عمارة الإيموليليا التي كانت تسكن فيها مع أنور وجدي. كانت بذور الإيمان تنمو بداخلها يوما بعد يوم إلى أن أثمرت إحساساً شفافاً اجتاح كل أركان مشاعرها فذاب كيانها معه وصارت تتوق للهداية فاستخارت قلبها ذات ليلة وأرشدها إلى طريق النور وعلى الفور أيقظت أنور وسألته لماذا لم يشترط عليها أن تشهر إسلامها عندما تزوجته، فبرر ذلك على أساس أنه أراد أن يترك لها حرية الإيمان؛ لأنه لا إكراه في الدين، ولكنه تساءل عن أسباب هذه المناقشة التي أيقظتها في نصف الليل فأجابته أنها نطقت الشهادتين؛ لأنها تريد هي الأخرى أن تكون مسلمة مؤمنة مثله ومثل كل المؤمنين الذي أكرمهم ربهم بالهداية وخاصة بعد أن سبقتها شقيقتها وأشهرت إسلامها هي الأخرى يوم تزوجت من المخرج على رضا فغمرت الفرحة قلب أنور وجدي، الذي استبشر بهذه الومضة الإيمانية التي سبقت حلول شهر رمضان بأسبوع واحد فقط، وعليه اتفق أنور وليلى على اتخاذ الإجراءات الرسمية بإشهار الإسلام في أول أيام الشهر الكريم وذهب أنور إلى الشيخ الجليل محمود أبو العيون ودعاه إلى تناول الإفطار في منزلهما بالإيموبيليا على أساس أن يتفضل مشكوراً ويزور ليلى كلما سمحت ظروفه؛ لكي يعلمها شئون وأمور الدين الحنيف، وبالفعل كانت أول زيارة له على الإفطار وسألها إن كانت صائمة فأجابته نعم فأخذ يدعو لها، وبدأ يعلمها منذ ذلك اليوم قواعد الصوم والصلاة وعندما حان وقت الصلاة توضأت مع أنور وقامت للصلاة وكان الشيخ الجليل هو الذي يؤمهما. وجدير بالذكر أن أغلب أفراد أسرتها اعتنقوا الإسلام في نفس العام كما لو أن هناك اتفاقا بينهم في لحظة زمنية ما غير معلنة، إضافة إلى ذلك شرعت ليلى مراد في إنتاج فيلم بعنوان «ليلى المسلمة» يدور عن قصة اعتناقها الإسلام رغم نشأتها اليهودية وتربيتها الكاثوليكية لكن قرار الاعتزال حال دون تنفيذ هذه الفكرة.

جلسات الشعراوي

وإذا كانت ليلى مراد قد بدأت رحلة الهداية على يد الشيخ أبوالعيون فقد امتدت الخيوط الروحانية التي طرزت بها ثوب الإيمان ليد الشيخ الشعراوي الذي تولى هو استكمال مشوار

التعليم والتفسير والتجويد، وقام باطلاعها على كل ما ورد من أحاديث نبوية وسنن وعبادات حتى تصل لمرتبة المؤمنين الصالحين، وبدأت الجلسات وتعددت اللقاءات الأسبوعية بينهما التي رواها الشيخ الفاضل محمد متولى الشعراوي في كتابه الذي صدر عن قطاع الثقافة بمؤسسة «أخبار اليوم» بعنوان «الشعراوي والفنانات» والذي فتح فيه ملف حجاب الفنانات وكانت ليلى مراد الفصل الأول منه، وحكى عن بداية معرفته بها وقال بالحرف الواحد: «كنت أسكن في منطقة جاردن سيتي وكان هذا منذ عشر سنوات وكانت الفنانة ليلى مراد تسكن في العمارة المجاورة لي، ففي مرة من المرات رأتني أدخل العمارة فطلبت أن تقابلني وقلت أهلا وسهلا وجاءت وبدأت تسألني في أمور الدين وكانت أسئلتها تدل على أنها إنسانة ملتزمة بالدين وتريد أن تعرف كل شيء عنه، وأول الأسئلة كانت عن الزكاة وسألت بالضبط عن معنى زكاة الحلي التي تتزين بها المرأة فقلت لها إن الحلي التي تتزين بها المرأة معفاة من الزكاة ولكن ما زاد على ذلك بمعنى ما زاد على الذي تتزين به فهو الذي تزكي عنه فوجدتها تنوى أن تزكي عن كل ما عندها من الحلي، فأجبتها إن أهل الورع هم الذين يفعلون ذلك يزكون عن كل ما عندهم من الحلي، وعادت وسألت عن زكاة الألماظ وقلت لها إن الألماظ ليس عليه زكاة فاندهشت وقالت كيف ومن المفترض أن الألماظ أغلى من الذهب فقلت لها إن الذهب عملة أما الألماظ فليس كذلك. وأضاف: كانت السيدة ليلى مراد تتابع باستمرار برنامجي في التليفزيون، وكانت تكتب بعض الملحوظات عن الموضوعات التي تريد أن تستوضحها وفى مرة سألتني هل الغناء حرام فأجبت أنه معصية يكفرها الاستغفار إلى أن يتوب عليكِ الله فعادت وقالت يامولانا أنا أغني وأرجع أصلي.. فقلت لها ما شاء الله إذن أنت تدخلين تحت من «خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا».. وينطبق عليهم قوله تعالى: «عسى الله أن يتوب عليهم».

سؤال من ليلى أضحك الشعراوي

ويعود الشعراوي ليكمل حديثه عن أسئلة ليلى مراد المبسطة ويقول في مرة سألتنى ليلى مراد سؤالا غريبا لم أسمعه من قبل فقالت بالحرف الواحد هسألك سؤال يا سيدنا بس ما تضحكش فقلت لها تفضلي اسألي وانتظرت فقالت: ثدي المرأة معمول علشان لما ييجي طفل يرضع منه مش كده؟

فأجبت: نعم تمام، فعادت تقول طب الرجل عنده ثدي ليه؟ وفي هذه اللحظة لم أعرف كيف أعلق عن هذا السؤال، اتلخبطت وأخذت أضحك شوية ليس لأنني أريد أن أضحك

ولكن لأعطي نفسي فرصة للرد وفى النهاية قلت لها إن المسألة ده يمكن المستقبل يبين حكمة الله فيها وفي خلقه.. فروت لي أنها قرأت ذات يوم في الجرائد في الدنمارك حدث أن فتى انقلب إلى فتاة وطبعا ليس عنده ثدي إذن ما العمل ما هو مصيره؟ أو بمعنى أصح ما هو مصيرها؟

فأجبت أن الحكمة في ذلك يعلمها الخالق، وفي النهاية يختتم الشعراوي حديثه عن ليلى مراد ويقول: رحمها الله كانت إنسانة بسيطة متواضعة حسنة النية وروحها قريبة من الله وأنا جمعتني بها أحاديث طويلة شعرت من خلال كلماتها التلقائية أنها حقيقة متدينة إلى أبعد الحدود ومثال للسيدة المسلمة الحقة تؤدي فروض الصلاة والصوم وبقية شعائر الإسلام بارك الله فيها وفي إسلامها.

وبختام كلمات الشيخ الشعراوي في حق الفنانة ليلى مراد نصل إلى يقين لا شك فيه، أن ليلى مراد بالفعل عاشت مؤمنة وماتت مؤمنة وللأمانة أيضا أقول إن ارتباط ليلى مراد بالعقيدة الإسلامية لم يحدث فجأة عندما أحبت وتزوجت الفنان أنور وجدي كما يتصور البعض بل هي اعتنقته كديانة منذ أن كانت طفلة رغم التحاقها بمدارس الراهبات بمصر إلا أنها لم تتأثر بديانة أخرى غير الإسلام مع أنها تعرضت لمحاولات تبشيرية مسيحية من قبل راهبات المدرسة ،ولكنها كانت تميل دائما لصديقاتها من المسلمات بل كانت تفضل أن تذهب معهن إلى درس الشيخ الذي كان يأتي خصيصا للمدرسة لتعليم التلميذات المسلمات. رحم الله الفنانة ليلى مراد المصرية المسلمة المؤمنة وأسكنها فسيح جناته.

من الإذاعة لشيمون بيريز

إسرائيل تطارد ليلى مراد حتى الموت!!

شعب الله المحتال مغتصب الأوطان

والحقوق والأموال والآثار

يزعم حتى يومنا هذا أن ليلى مراد من ممتلكاته البشرية التي لم ولن يتخلى عن أحقيته في استردادها حتى لو كانت هي قد تخلت عن الحياة..

أي منطق هذا؟!

في أية مدينة من المدن تجد لليهود ذيولا في حارة في شارع في حي، يظهرون في الليل الدامس يكرهون الاختلاط مع الآخرين وكأنهم نسيج حريري مختلف عن بقية البشر، ومع ذلك في مصر كان أغلب هؤلاء قبل عام 1948 والذين بقوا فيها بعد هذا التاريخ جزءا من نسيج الوطن لا ينفصل عنهم، يساهمون في حركته الاجتماعية والاقتصادية والوطنية بل والفنية، أيضا وما يعنيني هنا هي تلك العائلة اليهودية الأصل المصرية التركيبة عائلة ليلى مراد ومعارفها وأولهم داوود حسني اليهودى المصري، الذي تتلمذت على يده وتعلمت أصول الغناء والطرب الأصيل، وكان اسمه ديفيد حاييم ليفي وأطلق عليه المصريون لقب فنان الشعب إضافة إلى ذلك المنتج اليهودي السكندري توجو مزراحي الذي صنع اسمها الفني وقدم لها سلسلة أفلام «ليلى بنت الفقراء وليلى في الظلام»، وأخيرا «ليلى» عن قصة غادة الكاميليا. إذن في بداية عمرها الفني كانت ليلى مراد محاطة بدائرة مستديرة من اليهود المسالمين قبل حرب 1948 ولهذا لم تتردد لحظة في إشهار إسلامها على الملأ عام 1946 ولكن الأمر تغير بعد عام 1948 وكثرت دعوات إسرائيل لها بالإقامة هناك، والعودة إلى رشد التوراة لكنها كانت تحتقر مثل هذه العروض وترفضها من الأساس معلنة أنها مصرية مسلمة وليذهب الصهاينة إلى الجحيم، وبالتالي رفضت ليلى الهجرة مع أسرتها في 24 أكتوبر 1949 رغم تهديدات إسرائيل لها بعد اندلاع الحرب ولم تكتف بالرفض والاحتقار بل ساندت الموقف العربي، ووقفت بجرأة وقوة إلى جانب مصر وفلسطين ومثلث فيلم «شادية الوادي» تأكيدا على هذا الموقف، وكان الفيلم يستعرض القضية الفلسطينية وقد بدأ في الفيلم تعاطف ليلى الواضح مع القضية والشعب المنكوب.

أقرباؤها في الجيش الإسرائيلي

تناثرت شائعة من سلسلة الشائعات التي تعرضت لها ليلى مراد على مدى العمر، كادت أن تصيبها في الصميم وذلك حين انتشر خبر يؤكد أن لها أخا وأبناء عم يقاتلون في صفوف الجيش الإسرائيلى ضد العرب، وأصبح لاهم لأصدقاء ليلى مراد وكل من حولها إلا تكذيب هذه الشائعات القاتلة المدمرة المغرضة، وحاولت هي الأخرى بكل ما ملكت من وسائل التعبير أن تقول إنها حقا ولدت يهودية الديانة ولكنها مصرية لحما ودما وانتماء ووفاء لتراب مصر، وإنها عندما تزوجت من أنور وجدي كان بينهما اختلاف في الدين، وكان رأيها أن هذا الخلاف قد يؤثر سلبا على سعادتهما، واستمرار حياتهما الزوجية فبدأت تفكر في جدية التحول إلى الدين الإسلامى في روية وتعقل وأتيحت لها بالفعل فرصة دراسة الإسلام والتحول إليه عن اقتناع على يد الشيخ التقي محمود أبوالعيون، وكان إشهار إسلامها بمثابة طلقة نارية صوبت في وجه كل صهيوني وحتى يومنا هذا مازال شعب الله المحتال يعاني من نزيف الخيبة التي سببتها ليلى مراد بدخولها الإسلام وانتمائها لأرض مصر.

أزمة منع أغاني ليلى مراد في سوريا

سؤال ظل يتردد على كل لسان في أوائل الخمسينيات، ولم يجد له أحد جوابا، كان يدور حول أسباب اختفاء أول سندريلا في تاريخ السينما المصرية نظير شائعات مغرضة كان نتيجتها الاحتجاب عن الاحتفالات العامة والعزلة التامة عن الوسط الفني.

والآن وبعد مرور نصف قرن لنا وقفة لدراسة أبعاد الشائعة والمسئول عن إطلاقها وما هو دور الفنان أنور وجدي في تعزيزها وسريان مفعولها كالصاروخ في كافة أركان الوطن العربي، وهل من دور لعملاء المخابرات الإسرائيلية (الموساد) في هذه الشائعة؟.

القصة بدأت خيوطها الشائكة في مصر عندما نشرت جريدة « الأهرام» خبرا في يوم 12 سبتمبر 1952 في مكان بارز بالصفحة الرابعة قالت فيه على لسان مراسلها في دمشق إن الحكومة السورية قررت منع أغاني ليلى مراد وأفلامها في سوريا لأنها قد تبرعت لإسرائيل بمبلغ 50 ألف جنيه، وبالطبع أثار هذا النبأ ردود فعل عنيفة لدى جميع الأوساط الفنية والثقافية والسياسية في مصر في ذلك الوقت ولحقت بها أضرار جسيمة وخاصة الشركات المنتجة لأفلامها نتيجة لمسارعة الحكومة السورية بوضع اسمها في القائمة السوداء للمقاطعة، وصدرت الأوامر بعدم عرض أعمالها وسارعت على نهجها عدة دول عربية وكانت النتيجة خسارة لكل نسخة من الأفلام قيمتها ثلاثة آلاف جنيه، وعليه انقطع عنها الدخل بالإضافة إلى توقف بعض الشركات السينمائية عن سداد باقي أجرها عن أفلامها الأخيرة وهي «شاطئ

الغرام» و«سيدة القطار» فضلا على أنه قد تسرب الأسى والحزن إلى آلاف المعجبين بليلى مراد الذين تساءلوا: كيف يمكن أن تقدم هذه الفنانة المحبوبة على هذا العمل المشين؟ وقد اضطرت ليلى إلى بذل كل المساعي السياسية مستغلة بذلك علاقاتها بكبار القوم في الفن والسياسة والثقافة وأخيرا لجأت للمساعي القضائية ورفعت دعوى تعويض على الحكومة السورية عما لحق بها من أضرار مادية وأدبية ومع ذلك فشلت كل هذه المساعي وظل اسمها يتصدر القائمة السوداء في كل البلاد العربية لمدة ست سنوات متواصلة قضتها ليلى مراد تدافع عن ذنب لم ترتكبه في حق وطنها الأصلي مصر.

عبدالناصر أنقذ ليلى مراد

الطريف أن ليلى مراد في ذلك الوقت كانت في باريس، سافرت إليها قبل اندلاع الخبر بأسابيع حينما علمت أن أنور وجدي زوجها السابق ستجرى له عملية في الكبد فأسرعت ملبية نداء الواجب والقلب الذي كان مازال ممتلئا بحب أنور وقرب موعد وصولها كان أنور ينتظرها بالمطار ويبدو عليه الاضطراب والقلق، ومكثت ليلى في باريس لمدة عشرة أيام إلى أن علمت بتلك الشائعة فغادرت على الفور وكونت خلية نحل مع أنور وجدي والأستاذ محمود الشافعي مدير أعمالها واتحاد النقابات الفنية وغرفة صناعة السينما، وذلك لإعداد وجمع المستندات والوثائق التي تثبت براءتها.

أما عن مصدر هذه الشائعة فيقال إن إحدى الصحف اللبنانية الفنية قامت باختلاقها في الوقت الذي بدأت فيه بوادر الطلاق بين ليلى وأنور، وتلقفت الصحف السورية هذه الشائعة وصدرتها إلى مصر بناء على حديث صحفي أجراه أحد الصحفيين اللبنانيين مع أنور وجدي قبل وصول ليلى إلى باريس بأيام، وفي تلك الأثناء زار مدير أعمال ليلى مراد مدير الإذاعة السورية وأكد له أن ليلى مراد لا يمكن أن تقدم على عمل كهذا ولاسيما بعد أن أسلمت وأصبحت المطربة الثانية في مصر بعد أم كلثوم، وقدم له الوثائق على صحة هذا الكلام وكانت كالآتي:

1ـ صورة دقيقة من حساباتها بالبنوك وضمان أنها ليس لها أي حساب في أي بنك آخر سوى العربى والعثماني.

2ـ وثيقة من الأمن العام الفرنسي تثبت أنها لم تغادر فرنسا منذ أن وصلتها قادمة من مصر، وليس صحيحا أنها اختفت في رحلة سرية قامت على أثرها بزيارة مواقع إسرائيلية داخل تل أبيب.

3ـ خطاب من الفنان أنور وجدي ينفي فيه التهم القائلة بأن من أسباب خلافه مع زوجته السابقة ميولها وتصرفاتها غير العربية.

كما أرسل اتحاد النقابات الفنية خطابا إلى إدارة الشئون العامة بالجيش بتاريخ 25/ 10/ 1952 ينفى فيه هذه الشائعة عن شخص ليلى مراد الكريمة بإمضاء سراج منير رئيس اتحاد النقابات الفنية في ذلك الوقت، وعليه أمر الزعيم الراحل جمال عبدالناصر أن تبحث له أجهزة المخابرات عن صحة هذه الشائعات، وبالفعل بحثت الأجهزة في كل مكان واطلعت على كل مستند وأولت بعض المهام لعدد من الأفراد كان من بينهم مراسلنا العسكرى في سوريا الأستاذ الصحفي جمال حماد والذي أكد أنه لا صحة لما أشيع عن ليلى مراد، وأن ما قيل هو ضرب من الخيال ومكائد ضد مواطنة مصرية صالحة لم تخطئ في حق الوطن فأمر جمال عبدالناصر بضرورة تكذيب هذه الشائعة واتصل بعدد من المسئولين في الدول العربية وخاصة سوريا والعراق وأكد لهم صحة موقف ليلى مراد فتم رفع اسمها من القائمة السوداء خاصة بعد أن قامت الوحدة بين مصر وسوريا عام 1958، وأرسلت القيادة العامة خطابا إلى غرفة السينما هذا نصه:

«السيد رئيس غرفة صناعة السينما المصرية بالإشارة لكتابكم رقم 435 بتاريخ 25/ 10/ 1952 بخصوص السيدة ليلى مراد أتشرف بالإفادة بأنه بعد تحريات جهات الاختصاص في هذا الموضوع تبين لنا أن السيدة ليلى مراد لم تسافر إلى إسرائيل ولم تتبرع لها، ولا صحة لما نشر عن تبرعها لحكومة إسرائيل بأى مبلغ من المبالغ وتقبلوا تحياتي قائد جناح وجيه أباظة مدير الشئون العامة بالقوات المسلحة» وعلى الفور تمت إعادة إذاعة أغانيها وأفلامها، وهكذا أنقذ جمال عبدالناصر وأنقذت الثورة ليلى مراد من التدمير الفني والذاتي وردت ليلى مراد الجميل لعبد الناصر ومصر، وكانت أول مطربة تُغني للثورة ورجالها كل ليلة ولمدة شهر كامل على مسرح الأندلس احتفالا بمرور عام على قيام ثورة يوليو المجيدة وبعدها بعام شرعت في إنتاج فيلم « الحياة الحب» في عام 1954 وهو الفيلم الوحيد الذي مثلت فيه من إنتاجها وبأموالها؛ لتؤكد موقفها المساند للثورة حين قامت بدور ممرضة في مستشفى لرعاية الجرحى، وكان من بينهم ضابط تحبه وبذلك أكدت ليلى بما لا يدع مجالا للشك أنها مصرية عربية صميمة، ومع ذلك لم يحقق الفيلم الرواج المتوقع وبرغم ذلك قدمت ليلى مراد تبرعات للمساهمة في تدعيم الجيش المصري عام 1955 ثم قررت بعدها الاعتزال نهائيا والتفرغ للبيت والأولاد خاصة بعد زواجها من المخرج فطين عبدالوهاب.

وقف الخلق ينظرون جميعا للحال التي وصلت إليها ليلى مراد من جراء هذه التهمة التي كان تأثيرها أبعد بكثير من مجرد شائعة أطلقت على فنانة. لقد كانت في الأساس حربا تهدف إلى تدمير هذه الفنانة فنيا وإنسانيا، والثورة كانت في بداية عهدها ولم تكن ثورة بالمعنى المتعارف عليه، وإنما كانت تسمى حركة الجيش المباركة، ومع الأسف توقيت الشائعة تزامن مع بداية الثورة الأمر الذي لم يكن في صالح ليلى، فصناع الأكاذيب يعرفون جيدا أنه من السهل أن ترمي بفنان في غياهب شائعات مثيرة لكن من الصعب لو تم إثبات براءته مما نسب إليه أن يستعيد صورته الوردية كما كانت، وهذا ما حدث لليلى مراد بالضبط، فقد بذلت كل المساعي وأثبتت بكل الطرق براءتها ومع ذلك لم تستطع أن تعيد لأذهان محبيها عطر ليلاهم. كانت عاصفة أسقطتها في بحر من الألم والمشاعر المتناقصة فانسحبت واحتجبت واعتزلت وتوقفت حتى فارقت الحياة.

عرض شيمون بيرز

كانت ليلى مراد مثل العصفور الطليق الذي يحاول الصهاينة النيل منه، فلم تتوقف المطاردات يوميا والعكس صحيح كانت تزداد مع الزمن بكثرة وعنف وحصار ومنها محاولات الاتصال التي قام بها (تيسير إلياس) مدير برنامج الموسيقى في راديو صوت إسرائيل باللغة العربية و(ليلتا عفيحان) المذيعة بالتليفزيون الإسرائيلي بقسم البرامج الناطقة باللغة العربية وهي من يهود مصر سابقا والتي حاولت أكثر من مرة الاتصال عبر الهاتف بليلى مراد التي رفضت من الأساس فكرة الرد عليهم، وكانت تطلب من مديرة منزلها الرد بجملة واحدة وهي أن مدام ليلى مصرية مسلمة، وستموت فوق تراب مصر وطنها الأول والأخير، وتكررت المحاولات وكانت هذه المرة عن طريق وزارة الخارجية الإسرائيلية التي عرضت منحها درجة المواطنة الشرفية في إسرائيل فرفضت حتى استقبال الملحق الإعلامي بالسفارة الإسرائيلية بالقاهرة، وقامت بطرده من على باب شقتها؛ ثم عادوا وعرضوا منحها جواز سفر دبلوماسي إسرائيلي ففعلت نفس الشيء مع الملحق والسفير وآخر هذه العروض جاء على لسان شيمون بيريز حين عرض عليها أن تكون سفيرة فوق العادة وأبلغوها أن هذا المنصب له مميزات لا حصر لها فكان ردها لا يتغير في كل مرة وهو الرفض. وقد نشرت المجلة الإسرائيلية (يهوديت) في أحد الأعوام خبرا يدعي أن التليفزيون المصري أنتج لليلى مراد فيلما قبل رحيلها رغم أن التليفزيون لم ينتج أية أفلام ومع ذلك ادعى التليفزيون العبري أنه

قد حصل على نسخة من الفيلم بطريقة سرية لم يفصح عنها وأنه قد تم عرض الفيلم في إسرائيل في بداية عام 1997 ، وقام مخرج يهودي من أصل عراقي بإضافة جزء للفيلم تحكي فيه تل أبيب عن وجهة نظرها فيما يختص بموضوع إسلام ليلى مراد الذي أرجعته لضغوط سياسية واجتماعية تعرضت هي لها، وحين علم ابنا ليلى مراد بهذا الفيلم صرحا في أكثر من جهة بأن هناك وصية صدرت عن ليلى مراد قبل وفاتها بأيام قليلة حذرت فيها إسرائيل من أية محاولة لتشويه صورتها أو للإضرار بسمعتها وبحقيقة إسلامها بعد وفاتها وأنهم على أتم استعداد لتقديم المستندات الرسمية والخطاب الموقع بخط يدها والذي تدين فيه إسرائيل، وتكشف عن كل المحاولات والمطاردات التي تعرضت لها منهم على مدى العمر، وعند هذا الحد توقفت كل جهود الانتحال الإسرائيلي لاسم وعقيدة وتاريخ ونجومية ليلى مراد، وأصدرت الحكومة الإسرائيلية قرارا نهائيا بمصادرة شرائط أغانيها وإيقاف أي طبع جديد منها، وهكذا استراحت روح ليلى مراد من أية تلفيقات صهيونية جديدة لاحتواء سيرتها في دنياها وآخرتها.

قالت له بحبك قال لها دى قلة أدب:

obeikandl.com

« الحبيب المجهول»
فى حياة ليلى مراد

«كانت تغرد..
«اللي يقدر على قلبي
يخطفه وأنا أجري وراه
واللي يقدر على حبي يقطفه
وأنا أعيش وياه..
عايزه حبيب من غير ما أناديه
يرد عليَّ وأرد عليه
وساعة إيديَّ ما تيجي في إيديه
وأحس بقلبه وأشوف بعينه..»

كلام جميل.. وكلام معقول.. لكن خيال حبيبها المجهول الذي ظل قابعا في ذهنها مستقرا على عرش قلبها حتى آخر دقة في عمرها تلاشى من أمامها، أو بمعنى أدق تبخر عند أول ناصية اعتراف لها بحبه، كلام غريب.. وكلام غير مقبول.. ولكنها الحقيقة، فمن هو قيس الذي رفض حب ليلى بل وفر من أمامه دون أن يخسر ودها الأبدي، وكيف استطاع بذكاء أن يحول دفة الغرام إلى شاطئ الصداقة، فتسير في بحر الحياة لمدة نصف قرن من الزمان وتستقر عند بر التقدير والاحترام لشخصه العظيم بل والتسليم بحبه من طرف واحد طوعا واختيارا ودون أدنى أمل.

قيس في أوبريت «قيس وليلى» للشاعر أحمد شوقى هو نفسه قيس ليلى مراد هو « محمد عبدالوهاب» ...

نعم عشقت ليلى مراد محمد عبدالوهاب وكانت البداية خيالا صرفا وكأنه حلم، بدأ كالحلم وانتهى كالحلم أيضا، ففي الوقت الذي كان يلعب فيه محمد عبدالوهاب دور قيس في قلوب فتيات مصر، كانت هي تعد نفسها لكي تلعب دور ليلى ولكن ليس لشباب مصر وإنما له هو وحده.

يادي النعيم اللي إنت فيه يا قلبي

obeikandl.com

اللقاء الأول.. النظرة الأولى.. رجفة العيون.. رعشة اليد.. دقة القلب، انطلقت بفيلم «يحيا الحب»، جمعتهما الزمالة الفنية والعلاقة الأسرية ووحدة الرؤية والفهم المتبادل، وكلما تقدم العمل في الفيلم وكثرت مشاهد الحب أمام عبدالوهاب زاد شعورها بأن وجدانها ومشاعرها ترتبطان به، كل أفعالها وتصرفاتها تنحصر في البقاء بجواره أطول فترة ممكنة داخل البلاتوه وفي حجرات الماكياج وحتى في طرقات الاستديو.

كانت تراه كل يوم، واعتادت عيناها على رؤياه، فإذا ما تغيب أو تخلف عن الحضور إلى الاستديو، غابت هي عن الدنيا، لم يكن تمثيلا في مشاهد، بل كان حبا حقيقيا، ومنذ اللحظة الأولى التي أدركت فيها أنها بدونه تفقد حواس التذوق والبصر والسمع بل والرغبة في مواصلة الحياة أيضا قررت أن تحسم الأمر وأن تواجه وتعترف، فظلت تتحين الفرصة لكنها لم تستطع لأيام بل وشهور، ثم وقعت المصادفة أو صنعتها هي ـ لا فرق ـ المهم أنها انتهزت فرصة وجوده في غرفة الماكياج ذات ظهيرة فدخلت وجلست على المقعد المجاور له، وراحت تجاذبه أطراف الحديث في أمور كثيرة ليست لها علاقة بما يموج به قلبها، وفجأة خرج الماكيير من الغرفة لدقائق فتصورت هي أن السماء تمد يديها لتحتضنها وتسخر لها الوقت والظروف لتنفرد به، فتزيح عن كاهل قلبها حمل الاعتراف وتستريح، والتفتت نحوه ولكنها فقدت النطق، فالتفت هو مبتسما هادئا كعادته فتجرأت وسألته: «يا أستاذ حتحفظني اللحن الجديد إمتى؟»، فأجاب في دهشة ودهاء: «لحن إيه يا ليلى إحنا سجلنا كل أغاني الفيلم.. مالك النهاردة، أنت بترغي كثير ومش تمام».. فأوقعها عبدالوهاب بذكائه في المحظور، فقد كان يفهم كل شيء ويدرك ما يدور ويختفي بين الضلوع، ولكنه كان مصرا على ألا يفهمه، كان يلمسه عن قرب، يستشف هذا الإعجاب المشبوب بعاطفة جياشة من بطلته الجديدة وهو في قرارة نفسه سعيد؛ لأن هذا من وجهة نظره يخدم مشاهد الفيلم الذي تقوم بتمثيله أمامه كبطلة ومحبوبة.

ورغم ما عانته ليلى مراد في حبها وصراعها الداخلي بين البوح والكتمان ظلت تلاحقه وتذوب كلما شاهدت الفتيات وهن يتجمعن حوله في كل مكان في الاستديوهات، والأماكن العامة، حتى عندما انتقل فريق العمل إلى الإسكندرية لتصوير بعض المشاهد الخارجية للفيلم، كن ينتشرن حوله في بهو فندق «الونيد ستور» فتلهب نار الغيرة قلبها، وينتشي هو لاهيا عنها مجاملا الأخريات من المعجبات به والعاشقات له ولكن بتعقل وحكمة. فقد كان يعلم كيف « يفرمل هذا كله ويضع النهاية المناسبة بسرعة ودون أن يترك جراحا دامية بلطف وأناقة ورقة متناهية، وتجددت الصدفة ذات مساء، فتسلحت بالشجاعة

وعزمت على البوح فانطلقت تقول: «اسمع يا أستاذ عبدالوهاب، أنا عايزة أقول لك حاجة شاغلاني بقالها شهور، أنا بحبك، بحبك أوي يا أستاذ»، فالتفت إليها ببطء وهدوء، والغريب أنه لم يتفوه بكلمة بل ظل كعادته مبتسما.. صامتا، واضعا ساقا فوق الأخرى، منتظرا بقية كلامها، فأضافت هي: «أنا خلاص يا أستاذ، مش قادرة أخبي أكثر من كده، أنت مش حاسس بالنار اللي في قلبي، ولا بالنار اللي بتحصل لي لو غبت عني، يا ترى بتحبني زي ما بحبك وهنا ضحك عبدالوهاب بصوت عال مسموع فغرقت ليلى في بحر من الخجل والارتباك وتحشرج صوتها وهي تقول «معناها إيه الضحكة دي؟ يا أستاذ أنا بتكلم بجد، أنا بحبك من زمان، ودلوقتي بحبك أكثر»، فاختفت ابتسامته وحل محلها غضب صارم وهو يلقنها أول درس قاس في عمرها، فقال «أنا أفهم إن دي قلة أدب، إزاي تتجرئي وتقولي لي كده يا ليلى» .. سدد إليها الطعنة بيد خبير، فأصابت منها مقتلا وجرت دموعها أنهارا ونهضت من مقعدها وهي تترنح والدنيا تدور من حولها، تتمنى أن تنشق الأرض وتبتلعها، وأن ينشق البحر ليغرقها فيه، وأن ينشق صدرها لتقتلع ذلك القلب الذي صور لها أن عبدالوهاب بعطفه عليها ورقته معها يبادلها حبا بحب.

وكان عليها أن تعبر كل هذا الحزن وتستعد لتقف أمامه من جديد في آخر مشهد يجمعهما معا في فيلم «يحيا الحب»، وكان عليها أن تُغني «ياما أرق النسيم» هذه الأغنية التي تصاحب أحداث الفيلم فتتوج قصة الحب العنيفة بين البطل والبطلة بالزواج، ولكن كيف تعبر عن هذا الحب السعيد المتبادل على الشاشة وهي تفتقده على أرض الواقع؟ كيف تستقبل كلمات الغزل وهي التي طعنت منذ دقائق بكلمات التوبيخ؟ كيف تصدر الهناء وهي تتنفس التعاسة؟ ومع ذلك تحملت وتحاملت، ونجح فيلم «يحيا الحب» نجاحا منقطع النظير، وسقط الحب في قلبها سقوطا مريرا، وظلت تعاني آثاره الدامية أياما وشهورا وسنوات، تزوج عبدالوهاب وطلق وأصبح أبا، وتزوجت ليلى مراد وطلقت وأصبحت أما، ولكن حبه ظل في قلبها حتى الممات، وتمسك هو بذلك حتى الممات أيضا.

يا قلبي إيه العمل حبيت وضاع الأمل

كانت هذه الغنوة هي خليل وحدتها، تعزي بها النفس الحائرة، والروح العليلة والقلب

الجريح، تشدو بين الحين والآخر « ياقلبي إيه العمل حبيت وضاع الأمل.. قلبه فضل يعطف عليك.. يا اللي لقيتك وحيد حبيت أنس وجودك.. وقلت تبقى سعيد مع اللي قلبه يريدك.. صورت لي عيشة هنيه.. تلاقي فيها حبيب وخليل، يمكن يبان لك في عيني الوداد والحب دليل.. شردت مني وغبت عني واخترت غيري والروح معاك» المهم عادت ليلى مراد لصوابها من جديد بحكم مسئولياتها العائلية تجاه أفراد أسرتها حيث كانت هي مصدر رزقهم الوحيد، اجتذبتها الدنيا بمشاغلها فغابت عن الوعي، وغابت عن الحب، وانتقلت رغما عنها من دائرة عبدالوهاب، إلى دائرة يوسف بك وهبي الذي أكمل رعايتها واحتضنها منذ اللحظة الأولى، ولكنها لم تحبه، فقط كانت تحترمه وتهابه، وقد تكون هي الوحيدة التي لم تصب بلعنة غرام يوسف وهبي في الوقت الذي كان هو محطا لأنظار وإعجاب وعشق أجمل وأرقى فتيات وسيدات المجتمع الراقي، وذلك لأنها تعلمت الدرس جيدا على يد محمد عبدالوهاب، تعلمت كيف تفصل ما بين العمل والحب، وما بين الواقع والخيال، وما بين الحلم والحقيقة، ومع ذلك ورغم التزامها الصارم بالعهد الذي قطعته على نفسها بعد أول طعنة قلب من عبدالوهاب، كثرت حولها الشائعات وربطتها بالممثل الشاب فاخر فاخر في ذلك الوقت، لكن الحقيقة كانت على خلاف ذلك، مجرد إعجاب بأداء ممثل شاب وتقدير لشخصه كإنسان مهذب، ولم يتحول الإعجاب كما تصور البعض ومنهم يوسف بك نفسه.

المهم، أن ليلى مراد انخرطت في العمل وانغمست بكل حواسها ومشاعرها إخلاصا للفن وربما تعويضا عما فقدته، لا أعلم ولكن من المؤكد أنه كان أفضل وأنسب دواء لداء الحب، فكانت نجاحاتها المتواصلة تلهيها بعض الشيء فتنجرف مع التيار تاركة نفسها مستسلمة تماما للقدر حتى جاء يوم قادتها الأقدار إلى قصة حب جديدة.

إنت مين أنت .. إنت مين قل لي؟

هكذا عادت ليلى لقلبها من جديد عادت بكل الحب، بكل الأمل، بكل اللهفة والشوق القديم، بعد أن قضت شهورا بل سنوات تنفق أكثر من اثنتي عشرة ساعة يوميا في الجلوس إلى الملحنين والمؤلفين رغبة في اختيار أحلى الكلمات وأجمل الألحان فضلا عن البحث والتنقيب عن أرقى الموديلات من أعظم بيوت الأزياء؛ لتتلاءم مع متطلبات كل فيلم، ففي ذلك الوقت وقبل ظهور الفارس الجديد أعطت ليلى كل وقتها لبروفات الأغاني وقراءة المشاهد وحفظ الحوار، فلم يكن وقتها يتسع للتفكير في أي شيء آخر حتى إن كان هذا الشيء الآخر هو الحب والاستقرار، كان الفن يجذبها إليه بخيوطه الحريرية فتنقاد مغمضة

العينين منزوعة الرغبة، ولكن كما يقول الحس الشعبي «الناس أعتاب وأقدار ونواصي»، فكانت العتبة الجديدة هي مدينة الإسكندرية أما القدر الجديد فكان مليونيرا مصريا أرجنتينيا، خطت ليلى العتبة فقابلت قدرها عند ناصية فندق سان جوفاني.

كلمني.. طمني.. يا شاغلني

نسجت خيوط القصة في الوقت الذي كانت ليلى تصور فيه فيلمها الجديد « ليلى» المأخوذ عن مسرحية غادة الكاميليا التي كتبها أليكسندر دوماس الابن في منتصف القرن التاسع عشر، والجدير بالذكر أن هذه القصة أحدثت دويا هائلا خاصة بعد أن قامت بتمثيلها سارة برنار في باريس، وبعد نجاحها ترجمت الرواية إلى العربية ولعبت «روزاليوسف» الدور كما لعبته قبلها الممثلة الأمريكية «جريتا جاربو»، فشاهدت ليلى مراد الفيلم الأمريكي وأعجبت به وقررت أن تخوض التجربة، ولما كانت بطلة مريضة بالصدر، طلبت من المنتج أن يصطحبها إلى مستشفى الصدر بحلوان لتتقن أداء دور مريضة الصدر، وبالفعل ترددت ليلى مراد على مستشفى الصدر وراحت تنصت إلى صوت السعال الجاف المتقطع الذي يطلقه المرضى، ومن كثرة ما قلدته أصبح ملازما لها بصفة مستمرة فأصابها الرعب من أن تكون عدوى المرض قد انتقلت إليها، فاستشارت الطبيب الذي طمأنها واقترح عليها فكرة الاستجمام لفترة قصيرة، وبالفعل سافرت ليلى إلى الإسكندرية واستأجرت فيلا على الكورنيش في جليم تواجه فندق «سان جوفاني» الذي يقع على لسان يمتد إلى البحر عند شاطئ جليم، وكانت شرفتها تطل على الفندق فترى الداخل والخارج منه ومن بين النزلاء لفت نظرها رجل متوسط العمر، رمادي الشعر، رياضي الجسم وسيم الملامح، وبدأت ترقبه من بعيد وهو يصحو مبكرا ويعود مع الفجر، ومرت الأيام وهذا الفارس يعيش على وتيرة لا تتغير، وذات يوم سألت ليلى مراد منادي السيارات عمن يكون، فعلمت أنه مليونير مصري مقيم في الأرجنتين حيث تعيش جالية مصرية ضخمة هناك، ويأتي إلى الإسكندرية كل صيف ليقضي فيها حوالي شهرين ثم يعود من حيث جاء، وأنه دبلوماسي شاب يشغل إلى جانب أعماله الخاصة مركزا مرموقا في وزارة الخارجية المصرية وينحدر من أسرة أرستقراطية ذات حسب ونسب وجاه وأطيان لا أول لها ولا آخر.

وبعد حصولها على كل هذه المعلومات الدقيقة استطاعت أن تعرف رقم تليفونه الخاص، وبدأت الحكاية بمكالمة ساذجة تحاول أن تستفسر فيها عن المزيد منه هو شخصيا، طالت المكالمة، وتحولت من مجرد مكالمة إلى غزل صريح وهمس حانٍ من جانبه، وتحول

الفضول إلى إعجاب وتعلق من جانبها، وشهد مساء نفس اليوم أول لقاء في الساعة السابعة حيث كانت ليلى تنتظر عند ناصية الشارع المجاور للفندق وكل خلجة من خلجاتها ترتجف، وما أن رأت سيارته تقترب حتى قفزت بداخلها وجلست بجواره وهي تنتفض، وانطلقت السيارة في طريق أبوقير، وتعالت الضحكات وكثرت الهمسات وتوالت الأحداث شهرا بأكمله كانت تراه كل يوم، ولا يكفان عن اللقاءات والأحاديث التليفونية، وعادت ليلى إلى القاهرة، ودخلت الاستديو لتلعب نفس الدور الذي لعبته «سارة برنار» في باريس «وجريتا جاربو» في أمريكا و«رزواليوسف» على المسرح المصري، مثلته وأتقنته، وأبدعت وهي لا تعلم أنها ستلعب نفس الدور في الحقيقة، فمثلما ضحت غادة الكاميليا بحياتها وحبها من أجل حبيبها ضحت ليلى بهذا الحب من أجل أسرتها وفنها، كيف؟ إليكم التفاصيل الدرامية لنهاية هذا الحب الذي بدأ كالحلم وانتهى مثلما انتهى الذي سبقه كالحلم أيضا.

منايا في قربك أشوفك سعيد

بعد الانتهاء من تصوير الفيلم سارعت ليلى بالانضمام إلى النادي الذي كان حبيبها وأسرته يترددون عليه، نفذت الخطة التي رسماها معا بإحكام حيث تعرفت على عائلته وأحبها أفرادها وباركوا الزواج، فكانت سعيدة ومستقرة، واستيقظت من نومها ذات يوم وقد بلغت سعادتها الذروة حين علمت أن حبيبها رفض الانتقال الى سان فرانسيسكو على أثر ترشيح وزارة الخارجية له، فاعتذر الحبيب ليبقى بجانبها.

وأحست ليلى بالفرحة، وذهبت لتخبر صديقتها الوحيدة نوال بالأمر، وما أن خطت الأولى في بيت نوال حتى رن جرس التليفون فوضعت السماعة على أذنها وهي تمني نفسها بسماع صوته فإذا بصوت أمها يأتيها متهالكا «الحقيني ياليلى أنا باموت» توقفت الحياة، وتجمد كل شيء في مكانه، وغادرت بيت صديقتها وانطلقت بسيارتها الشيفروليه بأقصى سرعة في شوارع مصر الجديدة كالمجنونة، وما أن وصلت حتى وجدت صوانا كبيرا ومعزين وبكاء وعويل، فلقد ماتت أمها جميلة مراد وتركتها لتواجه مسئولية العائلة بأكملها.تركت ليلى لتحل محلها في كل شيء وأصبحت هي الأم لأشقائهاوالزوجة لأبيها وربة البيت للجميع، وتحولت إلى أب وأم لكل فرد من الأسرة، ونسيت أو تناست دورها كحبيبة وغرقت ليلى في الحزن والعمل، وعزاؤها الوحيد كان الحبيب بعد أن انتهت فترة الحداد وقرر الحبيب أن يتوج الحب بالزواج، وأثناء الاستعداد لمراسم الزواج أعلنت حماتها أن رضاها عن الزواج لن يكتمل إلا بشرط واحد وهو أن تعتزل ليلى الفن نهائيا وهبط الأمر الشرط عليها

كالصاعقة، أيهما تفضل سعادتها أم أسرتها؟ ففي ذلك الوقت كانت العائلة كلها تعتمد على ليلى اعتمادا كليا، فلم يكن هناك مورد لها إلا عمل ليلى، وقضت أياما وهي مترددة تفكر حتى وصلت إلى ما وصلت إليه قبلها غادة الكاميليا، التضحية، لا سبيل إلا التضحية، بحبها ونفسها واستقرارها من أجل عيون أحبائها هكذا أعلنت ليلى لحبيبها مباشرة أنها لن تستطيع اعتزال الفن ولا التخلي عن عائلتها، وكان قرارا قاسيا حاسما باترا أسدل الستار على قصة حب دامت لمدة ثلاث سنوات، وافترق الحبيبان وظلت ليلى مراد تتلقى على امتداد العمر باقة من الزهور في كل عيد ميلاد لها. كان يرسلها الحبيب لسنوات طويلة، ثم انقطعت فجأة هذه العادة لتعلن عن وفاة حبيبها.

«ياما كان منايا أكون بين إيديك وتسأل عينيا يا روحي عليك لا تكذب عليَّ ولا أكذب عليك ياما كان منايا أشوفك سعيد وأشوف نفسي جنبك ده شيء مش بعيد ياما كان منايا».

.. ما تقولي قصدك إيه

كانت ليلى مراد فتاة أحلام كل شباب مصر، ومع ذلك كان قلبها يعتصره الألم والشقاء من حبيب يقسو وآخر يهجر دون أدنى تقدير لهذا الحب الكبير الذي كان يملأ قلبها، فقد قدر لهذا الوجه الجميل الذي وقع في غرامه الكثيرون أن يكون أتعس خلق الله وأشقاهم، فبعد أن اختارت ليلى بقوة وإرادة وعزم أن تتخلى عن حبها وتقتل مشروع زواجها رغم أنه كان من الممكن لأي إنسانة أخرى غير ليلى مراد أن تنتهز هذه الفرصة الذهبية وتستغل عواطف الحبيب لينفق عليها وعلى أسرتها، وبالتالي تفوز بحبها وترضي عائلتها وتستقر وتستريح ماديا ومعنويا، ولكنها كانت تملك عزة نفس وكبرياء رغم جذورها الفقيرة.

فأبت أن تتصرف كالغواني والساقطات، بل احترمت مشاعر الحبيب وأرضت ضميرها، وتحاملت على نفسها راضية بقضاء الله وقدره، ومضت في حياتها الفنية وظلت كعادتها تذهب إلى الإسكندرية للاستجمام كلما سمحت ظروف عملها، كانت في هذه الفترة تفضل الإقامة في فندق سيسيل مبتعدة كل البعد عن ذكريات فندق « الوند سور» الذي جمعها بمحمد عبدالوهاب وشهد أول ذبحة لمشاعرها، وفندق سان جوفاني الذي عاش معها بذور قصة الحب مع الشاب الدبلوماسي، والتي اقتلعت من حديقة حياتها قبل أن تثمر، وكانت صديقتها نوال تعرف كل هذا وتدركه فحاولت مساعدتها بكل السبل والوسائل وشجعتها على الاقتراب من الملك فاروق، الذي كانت قد تعرفت عليه في شهر من أشهر الصيف بالإسكندرية حيث كان الشاطئ يموج بالأحداث السياسية والغرامية للملك، وإليكم البداية

التي لم تهز من شعر ليلى مراد شعرة واحدة رغم الكم الهائل من الإغراءات والعروض الأسطورية.

كانت ليلى تعلم من هو فاروق وتفاصيل علاقاته خلال هذه الفترة التي شهدت الحرب العالمية الثانية لذلك فلم تتجاوب معه كما تجاوبت معه الكثيرات، فمنذ البداية وضعت بذكاء وحنكة خطوطا عريضة وحدودا شائكة حتى لا يتجاوزها الملك.

مين يشتري الورد مني وأنا بنادي وأغني

وفي يوم من الأيام فوجئت بزيارة الأمير يوسف رشاد وبولي سكرتير الملك الخاص وطلبا مقابلتها حيث أخبرها يوسف رشاد بأن الملك فاروق يريد منها أن تحيي حفلا في سراي رأس التين بعد بضعة أيام فرحبت ليلى ـ حيث لم تكن تستطيع إلا أن ترحب ـ وطلبت منهما تحديد موعد حتى تستطيع أن تتفق مع الفرقة الموسيقية ولكنهما قالا إن الملك يريد أن يسمعها بدون فرقة، ولم تخف ليلى ولم تهتز فها هو القدر يقودها إلى قمة المجتمع دون أن تبذل أدنى جهد، وكان عليها أن تنتظر وانتظرت وبعد يومين جاء الرد، وفى الموعد المحدد استعدت وارتدت أغلى ما عندها من ملابس وجواهر واستقلت إحدى سيارات القصر الملكي ووصلت لرأس التين حيث كان في استقبالها حاشية الملك، فقادوها عبر الممرات إلى قاعة فسيحة هائلة تتدلى من سقفها الثريات وتغطي أرضها السجاجيد العجمي والإيراني وغيرها، وكان الملك هناك في انتظارها دون الملكة، ولم يكن الخلاف بين فاروق وفريدة في تلك الأيام قد بلغ الحد الذي تداولته الألسنة ومع ذلك لم تظهر فريدة في الصورة، كانت غاضبة في غرفتها.

ولكن غياب فريدة لم يؤثر على الجو العام فقد تم تعويضه بحضور «نسل شاه» أجمل أميرات الأسرة المالكة.

وفي رهبة بدأت تترنم ليلى ثم أطلقت لصوتها العنان بعد أن ارتاحت لوجود أحمد حسنين باشا الذي كان قريبا منها وصديقا ودودا لها في تلك الفترة، وأشيع أنه كان ينافس الملك شخصيا للفوز بالقرب من ليلى مراد، وما أن فرغت من وصلتها الغنائية حتى استدعاها الملك لتجلس إلى جواره حيث تبادلا الحديث حول الفن والمال، ومنذ ذلك التاريخ أصبحت ليلى مراد من «شلة» الملك فاروق يحترمها ويقدرها خاصة بعد أن حاولت بهدوء واتزان تقليم أظافره حين خطر على باله ذات يوم أن يقتحم شرفة غرفتها المؤدية إلى بهو فندق سيسيل وذلك في منتصف الليل، وحين أدركت ليلى أن المتسلل عبر الظلام

الدامس هو نفسه الملك فاروق ملك مصر والسودان رحبت به بسرعة وقالت له إن معها نوال صديقتها التي تود أن تصافحه دائما ولكن حاشيته تمنعها، فأدرك الملك فاروق ما تعنيه ليلى مراد واحترمها وصارا صديقين حميمين.

وفي تلك الليلة هبطت ملكة القلوب إلى بهو الفندق لتجد شلة الملك مجتمعة في انتظارها وهم يوسف رشاد وحرمه وأحمد حسنين باشا والملك نفسه، وغنت ليلى بصوت خافت عزفت له أمواج البحر في ظلام الليل فانساب الصوت مع السكون وأفرغ أحلى ما عنده وأصبح لقاؤها بالملك وشلته برنامجا يوميا تسهر معهم حتى مشارف الفجر، واستطاعت أن تحافظ على مكانتها وسمعتها ونجحت في أن تقيد أحلامها في الحب بعد أن تحولت خبرتها مع الأيام إلى مخالب.

أنا قلبي خالي والا انشغل بك

« أنا قلبي خالي والا انشغل بك.. مش عارفة مالي يمكن بحبك»

هكذا سألت ليلى مراد نفسها وكررت السؤال كلما مر طيف أنور وجدي في ذهنها، فلقد ظلت لفترة طويلة تحيا بقلب خال خائف من سيرة الحب ومن ظلم الحب لكل أحبابه، كانت قد قررت أن تبتعد عن كل ما يمت لهذا الداء بصلة، نعم أسمته داء فلم تقو هذه المرة أن تعود كما عادت من قبل بقلب جريح، يكفيها ما أصابها منه، والسعيد في العمل ليس بالضرورة أن يكون سعيدا في الحب، فإما الحب أو اللاحب، ومع ذلك كان قلبها هو دليلها وقال لها إنها ستحب فصدقته، فرأت محبوبها قبل أن تراه بالفعل وسمعته قبل أن ينطق ويقول لها «يا حياتي تعالي تعالي.. غني لي تملي وقولي لي تملي الحب ده غنوه كلها أنغام، أنغامها الحلوة أحلى أنغام» .

كانت براعة أنور وجدي وحديثه العذب وكلامه المعسول ومطاردته لها أقوى ألف مرة من إرادة قلبها وأعنف ألف مرة من عزيمة قرارها، فعندما التقت به أول مرة في الاستديو حيث كانت تؤدي دورها في فيلم « شهداء الغرام» أمام إبراهيم حمودة، لم يكن غريبا عنها كانت تسمع عنه وعن حكايته العصامية وكفاحه في سبيل تحقيق حلم حياته ودمه الخفيف وحضوره الطاغي وقدرته الفذة على اكتساب الأصدقاء والمعارف وكل العاملين معه وحوله. كان أنور وجدي في ذلك الوقت يلعب الأدوار الثانية في الأفلام وقد تخصص لفترة طويلة في أدوار الشاب الفاسد المستهتر، ولكن ذكاءه جعله يثور على هذا القالب ويختار لنفسه مجموعة أدوار تبرز طاقاته الفنية المختلفة بشكل أوسع حتى لا يظل حبيس دور واحد

فتلتصق به هذه الصفات الى الأبد، وقد قاده تفكيره للتعرف على ليلى مراد ومقابلتها وجها لوجه بل ومحاولة الحصول على موافقتها لكي تلعب بطولة فيلمه الأول، وكان واثقا من نفسه ومن قدراته ومواهبه في فنون الإقناع، كان يعلم أن ليلى ستوافق على تولى مسئولية الفيلم حين اشتد المرض على كمال سليم فأصبح أنور وجدي مخرجا ومنتجا وبطلا أمامها دفعة واحدة.

وفى ذلك الفيلم «ليلى بنت الفقراء» أعطت ليلى مفتاح الحياة له كما لم تبخل عليه بمفتاح قلبها على الرغم من أنها كانت تعلم علم اليقين أن قلبه مرتبط ارتباطًا وثيقًا بطموحه وعقله، وهذا سر فشله العاطفي أكثر من مرة وتعدد زيجاته، فهذا الرجل كان يبحث عن المرأة الحلم الجميلة الجذابة ذات المال والشهرة ليصنعا معا ثنائيا ناجحا، وكانت تعرف أنه هوائي متقلب له قلب بارد، يملك كل الألاعيب والحيل للإيقاع بأية امرأة، ورغم ذلك أحبته، أحبت ذلك الطفل المغامر العنيد الموهوب، عشقته وعشقت ملامحه وعبقريته وقدرته على الانسجام مع كل الأشخاص باختلاف أعمارهم وثقافتهم، وأقبلت على المغامرة بأعصاب من حديد وقلب من حرير ودارت كاميرات التصوير لتسجل مشاهد الحب في الفيلم، ومعها كاميرات الصحف لتلتقط لحظات العشق في الحياة.

دوس ع الدنيا وامشي عليها

هل تذكرون هذه الأغنية التي كان أنور وجدي يقود فيها سيارته وتجلس إلى جواره ليلى مراد وهي تشدو:

«دوس ع الدنيا وامشي عليها.. أنا ولا أنت لينا مين فيها.. طير وديني جنة حبك واطفي حنيني.. عايزة أشوف الدنيا بعيني وأنت معايا وأعيش لياليها.. ليه الدنيا هنبكي عليها أنا والا أنت لينا مين فيها».

كان هذا المشهد السينمائي هو طبق الأصل لما حدث في الواقع، فذات يوم تعطلت سيارة ليلى مراد بعد انتهاء يوم تصوير كامل وكانت الساعة تقترب من التاسعة والنصف مساء، ولما أدركت أن الوقت قد تأخر أرسلت من يستدعي لها تاكسيا يوصلها إلى مسكنها بمصر الجديدة، فرفض أنور وصمم على أن يصحبها معه في سيارته إلى بيتها، وعلى الفور أطاعت الأمر بعد أن تنفست الأنثى بداخلها وراحت معه في نزهة استمرت لمدة لا تعلم عدد ساعاتها من دقائقها فقد مر الوقت في لمح البصر، اقتحمها بعنف وسلمت ليلى دون تردد، فكانت سيارة أنور من مقعدين فقط وقاد هو في شوارع القاهرة بلا هدف محدد، في البداية كانا يتحدثان عن الفيلم

وعن الأحداث الجديدة وتركيبة الشخصيات ثم تطور الحديث وأصبح عنهما لا عن غيرهما ولا تدري ليلى لماذا ارتبكت في تلك اللحظة وشعرت بأنها مسلوبة الإرادة أمام أنور وجدي فشعر أنور بما يموج بداخلها وصاح «يا سلام يا ليلى لو العربية ده فضلت ماشية بنا على طول لحد آخر الدنيا»، التفتت إليه وهي مدركة لما يرمي إليه وحاولت أن تتجاوزه وترد بحياد تام لا يعلن عن شيء: «ياريت الواحد فعلا محتاج يرتاح بعد الشغل»، ولم يسلم أنور وجدي بل زادت حماسته، فكان قد عقد العزم على مصارحتها بحقيقة مشاعره تجاهها، واستمر يقود السيارة بلا توقف حتى وصل إلى طريق ألماظة الخالي، وهنا همست ليلى في حنان «مش هنرجع يا أنور الوقت متأخر» فالتفت إليها وأصاب هدفه بلا مقدمات فطلب منها الزواج، فتسمرت هي في مقعدها وصعقت من جرأته وهو الذي لم يغازلها من قبل فكيف له أن ينطق بطلب الزواج؟ وحتى لا يلاحظ ارتباكها قالت في سخرية « ياه كده مرة واحدة؟»، فرد بصوت خافت رقيق «وفيها إيه يعني أهو ساعات ربنا بيستجيب لدعاء الواحد ويارب نتجوز يا ليلى»، قال ذلك بأعلى صوته تاركا عجلة القيادة ورافعا يده إلى السماء في لقطة فولكلورية فانفجرت ليلى ضاحكة وشعرت من جديد بلذة خفقات قلبها.

تسألني صحيح حبيت لا جاوبتك ولا خبيت

كان هذا الشطر من أغنية «رايداك والنبي رايداك» أفضل وصف لحالة ليلى مراد في هذه الأيام، كانت تحبه ولكن بتعقل ونضج هذه المرة، لم تنجرف مع التيار كما انجرفت من قبل، بل ظلت مترددة رغم أن قصة الحب صارت بين يوم وليلة حديث الوسط الفني كله، ولكن لم يمنعها ذلك من التفكيرفي: هل ستستطيع أن تتقاسم الحياة مع فنان مثلها؟ وهل تعيد مأساة أمها من جديد؟ وهل سيستقبل فكرة استمرارها في الفن أم سيعترض طريقها؟ وماذا لو نجحت بدونه؟ كلها أسئلة جدلية تكالبت عليها من كل ناحية، أما كيف تناثرت صباح اليوم التالي كالهواء فيسأل عن ذلك أنور وجدي الذي بدأ في إغراقها بالورود وكلام الغزل والاهتمام المبالغ فيه، وراحت عزيزة اللبيسة الخاصة بها تصب في أذنيها كلمات التشجيع، وأخذت قصة الحب شكلا عمليا أصيب الجميع بعدوى حماس الحبيبين، الكل يعمل بدأب لمدة ست عشرة ساعة متواصلة وعندما ينتهيان من التصوير يلتقيان من جديد؛ ليشاهدا معا اللقطات التي صورت بالأمس في صالة العرض بالاستديو؛ فلا يكفان عن المناقشة والتعديل والإضافة، وتسربت الغيرة ذات يوم إلى قلبها حين رأته يغازل فتاة بفرقة الرقص، وفي تلك اللحظة أدركت حقا أنها تحبه، فعاملته كخطيبته وبدأت تحاسبه وتغضب وتثور

في بعض الأحيان فيسرع لاهثا يطلب السماح والعفو فتسامحه على وعد بألا يتصرف بشكل يثير غيرتها. وبمرور الوقت استولى أنور وجدي على عقل والدها زكي مراد وتودد لكل من إبراهيم ومنير مراد حتى صارا صديقين حميمين له يتقابلان معه يوميا إما في الاستديو أو في منزل العائلة في مصر الجديدة، وهكذا اخترق أنور كل الحدود والأمور والمتاريس والأسلاك الشائكة وأسر قلب ليلى فدخلت قفصه الذهبي هائمة ومحبة وعاشقة.

يا أعز من عيني

كانت حياة أنور وجدي قبل ليلى مراد حياة خالية خاوية مليئة بالفراغ والضياع، فهو فنان والفنان يحتاج للاستقرار والذي لن يتأتى إلا بالزواج وتكوين الأسرة، فقد كان بحاجة إلى هذا الدفء إلى زوجة وفية عاقلة متفهمة لطبيعة عمله، رقيقة المشاعر صادقة حنونة، كان بحاجة إلى أم أكثر من حاجته إلى زوجة، وقد وجد في ليلى مراد كل هذه الصفات مجتمعة وكأنها كل نساء الأرض في امرأة واحدة.

ولم ينتظر كثيرا بل دخل البيوت من أبوابها، ولأنه كان ماهرا في كل شيء: في الفن والحب والزواج أراد أن يستغل كل ذلك لإنجاح فيلمه، وبالفعل فكر في أن يمزج الحياة بالواقع، واستطاع أن يستغل آخر مشهد من فيلم «ليلى بنت الفقراء» كنوع من الدعاية لفيلمه الجديد ولزواجه الجديد من أسطورة الغناء ليلى مراد، فإذا به يدعو عددا من الصحفيين الفنيين في مقدمتهم جلال البنداري وعبدالشافي القشاش وعثمان صادق وخليل عبدالقادر وحسين عثمان لحضور تصوير آخر مشاهد فيلمه الأول «ليلى بنت الفقراء»، والذي تظهر فيه ليلى مراد بملابس الزفاف البيضاء بينما يرتدي أنور وجدي الأسموكنج السوداء، وبعد انتهاء تصوير النهاية السعيدة يعلن أنور لجموع الصحفيين الحاضرين أنه لأول مرة يمزج الفن بالحقيقة ؛ لأن المشهد الذي شاهدوه هو بحق آخر مشهد في الفيلم، كما أنه آخر مشهد له في حياة العزوبية لأنه تزوج بالفنانة ليلى مراد بالفعل في صباح نفس اليوم وأن هذا الزفاف ما هو إلا بروفة لحفل زفافهما في مساء نفس اليوم. لقد أحدث زواج ليلى وأنور في تلك الأيام ضجة شديدة في مصر، فرحبت به الصحف واتخذته مادة مثيرة ونسجت حوله الحكايات فزاد إقبال الجماهير على الفيلم وحقق أنور وجدي ما حلم به وهو الرواج التجاري، كما أن هذا الفيلم شهد بداية انطلاقتهما كثنائي سينمائي وحياتي لم ولن يتكرر، إضافة إلى أنه كان حافزا لأنور لكي يكون شركة سينمائية اسماها « شركة الأفلام المتحدة»، واستعان فيها بخبرة شقيق ليلى مراد الذي ظل ملازما له حتى بعد انفصال ليلى عن أنور،

ولقد حققت هذه الشركة إيرادات مهولة من واقع نجاحات متواصلة أنتجت فيها العديد من الأفلام السينمائية التي جمعتهما معا مثل «ليلى بنت الأغنياء»، و«ليلى بنت الأكابر»، و«غزل البنات» ، و«عنبر»، و «قلبي دليلي» وغيرها من الأفلام وكان مقر الشركة في الدور السادس بعمارة الإيموبيليا بشارع شريف في قلب القاهرة، وكان عش الزوجية في الدور الثالث عشر بنفس العمارة، هذا الدور الذي بصمت جدرانه على أن «اللي مالوش حبيب ما تشوف عيونه ضي، يقضي عمره غريب لا له وطن ولا حي، واللي ما طالش نصيب في الحب ماطال شيء» ، وأشهد من واقع رؤيتي لمسيرة حياة ليلى مراد أن أنور وجدي ظل طوال فترة زواجهما معا وحتى بعد أن انفصلا وافترقا إلى الأبد، وتزوجت هي من أحد كبار رجال الثورة وتزوج هو من الفنانة ليلى فوزي، ظل أعز من عينيها، اشترته واشتراها؛ أما «إيش عملوا العزال» فلهؤلاء أكثر من واقعة كانت كفيلة بالقضاء نهائيا وإلى الأبد على أجمل قصة حب عرفتها السينما المصرية.

الحب جميل

حبها لأنور كان جميلا أكدت له بألف دليل، كان يفوت على عينيها ويصحيها من عز النوم، ويفوت على روحها ويطير بيها الدنيا في يوم، وإن فات أنور في يوم أو غاب هي والظنون تصبح في عذاب.

انشغلت ليلى مراد بهوى الأحباب فصار عذابها راحة وراحتها عذابا، وانتقلت لتقيم مع أنور في بيت الزوجية في شقة فاخرة بعمارة الإيموبيليا فكانت سعيدة ومستقرة وهانئة لا تعلم ماذا تخبئ لها الأقدار، تلك الأقدار التي طالما لعبت بمشاعرها وأسكنتها مدينة الأحزان. في هذه الفترة كانت غارقة، بحق حتى أذنيها في حب حقيقي كبير، نبيل لم يكن هناك شيء يؤرق نفسها إلا بعض القلق على أحوال أسرتها، فحتى هذه اللحظة كانت لاتزال متأثرة بوفاة أمها، وهم الأسرة الذي تحملته في شبابها، أصبحت أسيرة للقلق وهي تراقب في صمت تصرفات أبيها الذي أصبح معتزلا تماما الأوساط الفنية وغارقا في حب ممثلة ناشئة أحاطها باهتمامه الكامل، وكان هذا يسبب ألما لليلى ولكنها لم تفاتحه في الأمر بل تركت الأمور تسير حتى لا تخسر مودة أبيها، وطمأنها قرب أنور من شقيقها إبراهيم مراد الذي تفانى في العمل مع أنور وعاصر معه أزهى فتراته، ليس إبراهيم فحسب بل شجع منير أيضا حيث احتضنه بعد أن علم مدى عشقه للموسيقى والطرب، وكيف كان يختلي بنفسه في ركن من أركان منزل العائلة ليعزف ويحاكي النغمات التي تحفظها أذنه الموسيقية وينفق في التدريب ساعات

طوالا، وبينما كان هذا الأمر يقلق ليلى على شقيقها الأصغر الذي تخشى على مستقبله كان هذا الأمر يروق لأنور فكان يشجعه في تدريباته، ويحفزه على المضي فيها، وكان دائما يضع أمامه هدفا وهو أنه سيقدمه في بطولة مطلقة في فيلم غنائي إذا اجتهد وبالفعل أنتج له فيلم «أنت حبيبي» .

أما عن أول ثورة غضب أعلنها أنور وجدي على ليلى مراد فكانت على أثر مطالبته لها بالتوقف نهائيا عن التعامل مع أحد غيره وادخار مجهودها الفني والسينمائي لشركته فقط، ومبرره في ذلك كان أنهما زوجان، وأصبحا شخصا واحدا ولا يصح أن تعمل ليلى في شركة أخرى، وبدأت بذور الخلاف حين علم أنها تعاقدت مع شركة نحاس على بطولة فيلم بعقد وقعته قبل زواجها منه لتمثل فيلمًا يخرجه يوسف وهبي ويمثله أيضا أمامهما وهو فيلم «شادية الوادي» ، وكانت ليلى قد بدأت بالفعل في حفظ أغاني الفيلم والتدريب على الشخصية الجديدة وشراء اكسسوارات وملابس الدور، وتزامن هذا الوقت مع بدء استعداد أنور وجدي وتجهيزه لفيلمه الثاني «ليلى بنت الأغنياء» ، وعندما اتصل به يوسف وهبي طالبا منه أن يؤجل فيلمه حتى ينتهى هو من فيلم «شادية الوادي» ثار وهاج وصاح في وجه ليلى غاضبا لأول مرة بعد شهور من زواجهما قائلا: «كان لازم ترفضي شغل يوسف وهبي ونحاس فيلم ولازم تتفرغي لي أنا وحدي، أنا مش هاسمح إن مجهودك يروح لأى شركة غير شركتي، هو أنا باعمل ده علشان مين؟ علشانك وعلشاني إحنا أولى بمكاسبنا ومجهودنا»، وبدأت ليلى تفيق من حلمها الوردي لتقف على أرض الواقع وتكتشف بنفسها حقيقة حبيبها، ومع كثرة الإلحاح من يوسف وهبي وتوسلات ليلى قبل أنور على مضض على اعتبار أنها مرتبطة بعقد لا سبيل لفسخه، ونجح الفيلم ليضيف لنجاح ليلى مراد المتصاعد درجة في صعودها المستمر إلى القمة لم ترتق إليها مطربة قبلها، واستغل أنور هذا النجاح، وبدأ على الفور في تصوير فيلم « ليلى بنت الأغنياء» ، ونجح هو الآخر نجاحا منقطع النظير ليضيف الى أنور رصيدا متزايدا من المال في خزينته الحديدية التي اشتراها خصيصا من ألمانيا بغرض جمع أكبر قدر من الأرباح لتعويضه عن أيام الفقر والشقاء.

أنا روحي فيك وباغير عليك

إن صورة ليلى مراد التي ظلت تقدمها الصحف والمجلات كنموذج للمرأة السعيدة

المحبة، لم تكن حقيقية، فقد كانت تعيش حياة تعيسة تصدر الغرام للملايين من عشاق المشاعر والعواطف بلا روح، وهي على الجانب الآخر تعيش وهم الحب وألم الخديعة، فظهور ليلى وأنور كأسعد زوجين في العالم وتعليق صورتهما معا بجانب صورة الملك والملكة على جدران وحوائط مصر للأسف كان مجرد حملات دعائية للأفلام التي تجمع بينهما، فتزيد من تعاسة ليلى مراد ومن رصيد أنور وجدي، ليظل الملاك الحزين يعيش في صراع دائم بين حياتين: حياتها الفنية وحياتها الزوجية، وكلتا الحالتين تريد أن تستأثر بها فينتهي الصراع دائما بخضوع ليلى لإحدى الحياتين والتفرغ لها، ومثلما كان يتعامل أنور وجدي مع أمواله وألوفاته بوضعها فوق بعضها البعض داخل خزينته الحديدية كان يتمنى في قرارة نفسه أن يسجن عصفور الكناريا داخل أسوار هذه الخزينة أيضا؛ لتدر عليه الربح وحده دون غيره، وبشكل قاطع سجن أنور وجدي كناريا مراد في دائرة طموحاته الخاصة وفرض عليها وصايا فنية رافضا أن تعمل في أفلام الغير . تعمل فقط في أفلام ينتجها ويخرجها ويقوم ببطولتها هو، وقد حدث أن عبدالوهاب كان يعمل في تجهيز فيلم جديد بعنوان « لست ملاكا» وهو آخر أفلامه التي مثلها للسينما، ومن جديد فكر في أن تقوم ليلى مراد بالبطولة أمامه، وقبلت ليلى دون تفكير عرض أستاذها صاحب الفضل في ظهورها ونجاحها، وبالطبع أعلن أنور وجدي بدكتاتورية متعنتة أنه يرفض أن تقوم ليلى ببطولة الفيلم أمام عبدالوهاب حتى لو كان منتج الفيلم هو عبدالوهاب نفسه، وبالطبع كان هذا التصرف كفيلا بإحداث هزة نفسية عنيفة لها فكل زيارة لليلى مراد من عبدالوهاب أو العكس كانت تنتهي بثورة عارمة من جانب أنور وجدي، فالمعاملة الخاصة التي كانت تعامل بها ليلى مراد أستاذها حينما تجتمع به لتحفظ ألحانه وتتدرب عليها كانت تثير ثائرة أنور الذي كان يشعر بأنها لاتزال تحتفظ في أركان قلبها بذكرى قديمة لقصة حب رومانسي ومراهق لأستاذها، فلا تحلو الدنيا إلا بقدومه وهو يمسك بالعود ليحفظها لحنا من ألحانه بينما تأكل نيران الغيرة قلب أنور وجدي على الجانب الآخر، ويظل يغلي طوال فترة زيارة عبدالوهاب، وبمجرد أن ينصرف الأستاذ ينفجر ويثور في وجه ليلى مراد في غضب كان يصل به في حالات كثيرة إلى حد العدوان بالضرب، وقد ظل هذا يتكرر بشكل دائم عقب كل زيارة من عبدالوهاب، وكل جلسة حفظ للحن، بل إن غيرة أنور وجدي وصلت في وقت من الأوقات إلى حد جعله يماطل عبدالوهاب بجلالة قدره في تصفية حسابات المشاركة التي أقنعه بها في إنتاج شركته من أفلام؛ مما دفع عبدالوهاب إلى التخلى نهائيا عن هذه المشاركة واختيار المخرج هنري بركات بدلا من أنور حينما تحول بركات إلى منتج.

وعلى أثر هذا الخلاف وقع أول طلاق بينهما وتركت ليلى منزل الزوجية غاضبة، وزادها غضبا أن أنباء الخلاف تسربت إلى الصحف صباح اليوم التالي، وكانت تلك أول طعنة مؤلمة في صميم نفسها، وعندما شعر أنور وجدي بأوجاع الندم وأنه تجاوز حدوده كزوج ذهب على الفور إلى منزل الأسرة بمصر الجديدة، وسارع إلى إرضائها بكل السبل والوسائل من تقبيل رأسها ويديها وحتى قدميها لتعود له من جديد وهو يطلب منها في نعومة أن تسامحه وتغفر له ويعترف بخطئه، ويؤكد لها أنه يحبها ويغار عليها، فقبلت العودة لاستئناف حياتهما معا ولكن بقلب جريح، متيم بحب طفل أناني لا يحب سوى جمع المال والثروة.

سنتين وأنا أحايل فيك

كان أنور وجدي سبب تعذيبها، والاسم حبيبها، وحتى هذه اللحظة لا أعرف تحديدا هل كان أنور وجدي يحبها، ويغار عليها بالفعل أم أنه كان يمتلكها، ويغار أن يشاركه فيها أحد؟ هل هي غيرة نابعة من حب أم من حرصه على مصالحه الفنية؟.

عجيب أمر هذا الرجل حقا!! كيف استطاع أن يمزج الحب بالعمل والعشق بالمصالح، فإذا لمس بادرة تمرد يسارع ويحيطها بفائض من الحنان مبالغ فيه، وعلى إثره تستسلم وتذوب إلى حد أن دفعه ذكاؤه بل دهاؤه لكي يرضي رغبتها في الاستمرار مع عبدالوهاب وإحساسه بأنه خير من يجيد تشكيل صوتها، فعرض أنور على عبدالوهاب نفسه أن يدخل معه شريكا في إنتاج الأفلام ولم يطلب منه تمويلا ولا حتى مشاركة مادية، فقط جهده الفني من ألحان وتوزيع، وحدد أنور نسبة مقابل هذه المشاركة الفنية؛ لكي يثبت حسن نواياه أمام ليلى مراد وعبدالوهاب معا، وبالفعل شرع في إنتاج وإخراج ثلاثة أفلام من أعظم ما قدم للسينما المصرية هي أفلام «عنبر» و«قلبي دليلي» و«غزل البنات»، واتسعت دائرة الشجار وعادت مياه الخلافات تطفح من جديد على سطح العلاقة الزوجية بسبب مناقشات ليلى المستميتة ومطالبتها الدائمة بحقها في الأجور التي لم تتقاضها عن سلسلة الأفلام العديدة التي قامت بتمثيلها لشركته، والعائد المادي الضخم الذي ربحه وكدسه في تلك الخزينة الحديدية من واقع استغلال أغانيها ورواج أفلامها.

أنور وجدي كان إعصارا في معاملته المادية، لم يكن بخيلا بل كان تاجرا ولم يمض يوم واحد إلا والنكد أصبح طرفا ثالثا بينهما، وعند هذه النقطة بدأت ليلى تفكر جديا في ضرورة أن تنفصل فنيا عن أنور وجدي لبعض الوقت، وأن تقبل ما يعرض عليها من أفلام مع حسين صدقي ومحمد فوزي وآسيا داغر وعبدالحليم نصر وأحمد سالم، ولهذا الأخير

واقعة تاريخية كانت واحدة من أسباب الطلاق الثاني في حياة أنور وليلى، بدأت فصول القصة عندما قرر أحمد سالم أن تشاركه ليلى مراد وهي زوجة لأنور وجدي بطولة أول فيلم من إنتاجه وإخراجه وتمثيله أيضا وهو « الماضي المجهول»، كان أحمد سالم طيارا مصريا عائدا من إنجلترا اختاره طلعت حرب من شدة إعجابه مديرا لاستديو مصر بعد أن علم مدى عشقه للفن السابع، وشهرته هذه لم تتأت له من مجرد إدارته لاستديو مصر فحسب، بل كان شديد الثراء ينحدر من عائلة أرستقراطية ذات حسب ونسب إضافة إلى مغامراته العاطفية الكثيرة التي لقب على أثرها باسم «دون جوان مصر»، وكانت بطلات هذه القصص من ألمع نجمات السينما في ذلك الوقت ومنها قصة غرامه الساخنة مع أسمهان والصراع التنافسي الذي قاده مع الملك من أجل كاميليا، ثم تركه لاستديو مصر ومشاركته في شركة صناعية تقدمت بعطاء للجيش المصري أيام الحرب العالمية الثانية لتوريد ما يحتاجه من خوذات للجنود، وبالفعل رسا عليه العطاء واختيرت العينات وثبتت صلاحيتها ومقاومتها لطلقات الرصاص، ولكن ثبت بعد ذلك أن الخوذات مزيفة وأنه خدع فحوكم وأثارت محاكمته ضجة كبيرة بعد أن قضت بسجنه وشركائه لمدة عامين.

المهم لسنا بصدد الحديث عن أحمد سالم، ولكنها نبذة تاريخية عنه توضح ماهية الرجل ومغامراته ومدى عناده وثقته بنفسه، وبعد خروجه من السجن وانتهاء مدة العقوبة فكر في أن يدخل مجال صناعة السينما كمخرج ومنتج وممثل دفعة واحدة واختار ثلاثة من المساعدين وهم فطين عبدالوهاب وكمال الشيخ وكامل التلمساني، كما اختار قصة لفيلم إنساني اشتهر في زمن الحرب وقدمته السينما العالمية تحت عنوان «عودة الأسير». ولأن ليلى مراد كانت تتربع على عرش السينما المصرية وقع اختياره عليها وشرع في تنفيذ الهدف، وفى إحدى الأمسيات على ضفاف النيل بالجزيرة، لمح أحمد سالم ليلى مراد وهي تجلس في ركن خافت الضوء مع زوجها أنور وجدي، فاقترب منهما وعرض الفكرة على ليلى وأبدى أنور وجدي امتعاضه من الفكرة، بينما كانت ليلى رقيقة معه وانسحب أحمد سالم بعد أن شعر بتجهم وجه أنور وجدي الذي صب غضبه عليها كالعادة قائلا: «كيف تشجعين يا ليلى هذا الأفّاق على مقابلتك من أجل مشروع فيلم وهو لا يملك أن ينتجه؟ إنه نصاب خارج من السجن لتوه ومستحيل يكون عنده فلوس ينتج فمن أين له هذا؟، ثم ألم تسمعي عن فساده ومغامراته؟، أنا لا يمكن أوافق على عملك معه، ده سمعته زي الزفت»، فحاولت ليلى أن تمتص غضبه قائلة: «يعني يا أنور شفته جاء ومعه العقود، أنا قلت كده من باب المجاملة، ده أحمد سالم برضه اسم مشهور، وكان في يوم من الأيام مدير ستوديو مصر، مين عارف

النصيب فين؟»، لكن أنور كان يستشعر الخطر الداهم من اقتراب أحمد سالم من زوجته ليلى مراد، فعندما ذهب أحمد سالم لمقابلة ليلى حسب الاتفاق الذي تم بينهما تليفونيا قابله أنور بجفاء شديد، ومع ذلك ظل سالم هادئا متمالكا لأعصابه وجاءت ليلى مشرقة كعادتها وجلست في الصالون تنصت باهتمام لحديث أحمد سالم وهو يحكي لها عن قصة فيلم «الماضي المجهول»، وأبدت هي موافقة مبدئية على أن تمثل الدور ونهض واقفا وهو يهم بالانصراف سمع صوت أنور وجدي من ورائه متحديا يقول: « إنت عارف ليلى بتاخد كام؟ هل معاك 15 ألف جنيه؟»، هكذا صاح أنور وجدي ولكن أحمد سالم كان شديد الثقة بنفسه وعلى بينة من غيرة أنور على مصالحه مع ليلى، فقال: «أنا هادفع ستة الآن يا ليلى هانم والباقي في الأسبوع القادم»، موجها كلامه لليلى مراد متجاهلا وجود أنور، فاستشاط أنور غضبا، وقال: «طب وهتجيب الفلوس منين؟»، فأجاب أحمد بحدة « أنا حر يا أنور»، والتفت إلى ليلى وقال «نصف ساعة بالكثير والمبلغ هيكون عندك يا هانم»، وكان أنور يقف في مواجهة أحمد سالم بينما ليلى جالسة تبدو في قمة سعادتها وهي ترى اثنين من أشهر شباب مصر يتبارزان من أجلها، وعاد أحمد سالم كما وعد ودخل غرفة المكتب ومعه ستة آلاف جنيه وعقد فأمسكت ليلى بالقلم ووقعت ثم طارت المائدة الصغيرة في الهواء لترتطم بالحائط ومعها قطع الأثاث الصغيرة فغادر أحمد سالم المكان حينما شعر بتأزم الأمر، وبعده بدقائق غادر أنور وجدي المكان تاركا منزل الزوجية وفيه ليلى مراد وحيدة.

ليه خليتني أحبك؟

وقفت ليلى وسط حطام الأشياء حائرة لا تدري ماذا تفعل مع أنور وجدي وهي تعلم الأسباب الحقيقية وراء تلك الثورة التي اجتاحت أنور، بالطبع الغيرة ولكنها غيرة مزدوجة، غيرة من الشاب الأنيق المغامر الذي دخل مبارزة معه وانتصر وغيرة أنور الفنية من احتمال نجاح الفيلم بنسبة 100 ٪، وبعد ساعات من التفكير أمسكت ليلى بالتليفون وطلبت والدة أنور فجاءها صوت حماتها منزعجا أشد الانزعاج يعلن أن أنور في حالة هياج حقيقية، وأنه غاضب أشد الغضب وأنه لا سبيل إلا اعتذار ليلى عن عدم قبول فيلم أحمد سالم، وبدأ أهل الخير يتدخلون في الموضوع على أمل إيجاد حل يرضي جميع الأطراف، فليلى وقعت بالفعل العقد ولا يمكن أن تفسخه لأنه التزام وهي فنانة ملتزمة وأحمد سالم أيضا لن يتراجع عن حقه في أن تقوم ليلى مراد بتمثيل باكورة إنتاجه، فزادت المسألة تعقيدا خاصة وأن أنور مصمم على عدم العودة إلى البيت إلا إذا فسخت ليلى العقد وانصرف أحمد سالم بلا رجعة،

ونجحت ضغوط الأصدقاء فقبلت ليلى أن تذهب بنفسها إلى بيت أنور ترجوه أن يعبر هذه الأزمة فرفض أنور مقابلتها وقامت أمه بدور الرسول بينهما تسمع من ليلى فتنقل إلى أنور وهي إما الاعتذار عن عدم تمثيل فيلم «الماضي والمجهول» أو الطلاق، فغادرت بيت حماتها وهي ترتجف واستشارت شقيقها إبراهيم، وعلى الجانب الآخر كان أحمد سالم باردا وعمليا حيث اتفق مع محمد فوزي على الألحان، وبدأ حملة دعاية وإعلان مكثفة في الصحف والمجلات.

وأمام الأمر الواقع الذي فرضه أحمد سالم والموقف المستكين المستسلم الذي عايشته ليلى مراد رضخ أنور وعاد إلى البيت واحتفل الأصدقاء بزوال الخلافات، وبدأت ليلى تصور الفيلم وأعطت كل الأمان لأنور وجدي على أساس أن الموقف انتهى وليس له أي آثار جانبية، أما هو فكان يدخر طاقة الغضب ويتحين الفرصة للانتقام، في السينما والحياة، عرف كيف يخرج نفسه كالشعرة من العجين ويقلب المائدة على رأس ليلى مراد، ماذا فعل أنور وجدي الداهية؟.

هذه الشخصية العنيفة الغاضبة توددت لأحمد سالم لدرجة أنه عرض عليه المشاركة في فيلم يقومان معا ببطولته أمام ليلى مراد، هذا مع أحمد سالم، أما ما فعله مع ليلى مراد باعتبارها زوجته فيختلف تماما، فلقد حاول أن يشعرها بأنها مقصرة في أداء واجباتها الزوجية منشغلة بمجدها السينمائي تاركة زوجها في وحدة خاصة والمنزل خال من الأولاد، وقد أقنع أنور كل من حوله أن ليلى ترفض الإنجاب إما من باب أنه سيعطل مسيرتها الفنية أو قد يكون العيب منها وأنها تخفي عليه أنها غير قادرة على الإنجاب، وجاءته الفرصة الذهبية بينما هي تستعد لمغادرة البيت لتصوير المشاهد المتبقية مع أحمد سالم كان صوت أنور وجدي يتصاعد من المطبخ صارخا لاعنا والأطباق تتطاير فتساءلت عن سبب غضب أنور، فقال لها الطباخ إنه قرر أن يطبخ طبخة دمشقية فحاولت أن تتجنبه بقدر الإمكان لكنها لم تفلح خاصة بعد أن وقف أمام بوابة الخروج وهو يسأل في سخط «مستعجلة طبعا وعندك أوردر السينما أهم من جوزك، أنا آخر حاجة بتفكري فيها، البيت ما فيهوش كمون ياست هانم»، فالتفتت إليه هادئة تحاول أن تمتص غضبه بكل الوسائل «طب وإيه يعني يا أنور نبعت نشتري حالا»، فصرخ أنور في وجهها بدون مقدمات «وإيه يعني.. طيب.. أنت طالق يا ليلى»، وبهدوء شديد خرجت ليلى من بيت الزوجية إلى فندق سميراميس لتعيش فيه، وبرر أنور لأشقائها الأمر بأنه هذه المرة كان على حق، فلقد تغيرت ليلى تغيرا كبيرا وأصبحت تتغيب عن البيت كثيرًا بعد فيلم أحمد سالم، ولا سبيل للعودة إلا بترك الفن نهائيا هذه المرة والتفرغ تماما

للحياة الأسرية، واحتكم النجمان الحبيبان ليوسف وهبي فجاء حكمه لصالح ليلى مراد؛ لأنها لن تستطيع ترك الفن بعد هذا التاريخ الحافل بالنجاحات، وقد وهبت له حياتها، ومن الظلم أيضا أن تتخلى عن مكانتها المرموقة التي وصلت إليها بعد طول معاناة وتعب وجهد، وانفصل الاثنان لفترة سافر فيها أنور للعلاج من مرض الكلى بعد أن أشتدت عليه أزماته.

يا مسافر وناسي هواك

بعد الطلاق الثاني قررت ليلى أن تسد أذنيها تماما عن وساطات الأصدقاء ونصائح العقلاء لكي تعود المياه إلى مجاريها، وبالفعل سافرت ليلى إلى الإسكندرية للاستجمام، فعلم أنور من الخبثاء أنها قررت أن تستقل بنفسها وأنها لن تعود إلى أحضانه، كماكانت تفعل حين يعصف بها الحنين، لكنه لم يعطها الفرصة بل سارع وأرسل إليها خطابا ملتهبا يبثها حبه وحاجته إليها وهو مريض على شفا الموت ووصل الخطاب إلى ليلى فاستقلت القطار في نفس اليوم إلى القاهرة، وبعد يومين طارت إلى باريس فإذا به ينتظرها في مطار أورلى بلهفة شديدة فاحتضنها كما لم يحتضنها من قبل وغرق الاثنان في جحيم من القبلات والدموع وحملها من فوق الأرض وراح يدور بها في المطار كأروع مشهد حب سينمائي، وكانت هذه هي المرة الأولى التي تشعر فيها ليلى مراد بصدق حب أنور وجدي ومشاعره تجاهها، وكان قد حجز لها جناحا في أكبر فندق بوسط باريس، ووضع لها برنامجا حافلا بالزيارات والنزهات الصباحية والمسائية حتى شعرت بأنها في حلم جميل لن ينتهي واتفق الاثنان على الزواج من جديد ومواصلة الحياة معا الفنية والشخصية على حد سواء.

وكانت ليالي باريس بمثابة شهر عسل جيد للحبيبين، ولكن هذا الحلم لم يستمر طويلا مع الأسف، خاصة وأن ليلى قد شعرت بأن أنور وجدي يعيش بداية قصة حب مع فتاة فرنسية، تدعى لويسيت، فأيقظت عقلها من جديد وفتحت عينيها عن تلك الخطابات الغامضة التي تصله من روما وباريس بين الحين والآخر، وعن سر أسفاره الشهرية مرة إلى فينيسيا وأخرى إلى مونت كارلو، وقررت بينها وبين نفسها أن تحسم الأمر خاصة بعد أن كثرت الهمسات واللمزات، وبدأت سموم الشك تتوغل داخل أوردتها يوما بعد الآخر، وبإحساس أنثى فطنة عرفت أسرار الخطابات وكثرة الأسفار وتفاصيل هذا الدخيل المجهول في حياة زوجها وحبيبها، عرفت الحقيقة، فتاة فرنسية اسمها « لويسيت» شديدة الجمال والذكاء، تعرف عليها مؤخرا ودامت علاقتهما معا شهورا طويلة يتبادلان فيها الغرام والخطابات والزيارات بين مصر وباريس، كما علمت أن أنور استأجر لها شقة في منطقة الزمالك فذهبت إلى العنوان

المذكور بعد أن أخبرت مارسيل صديقتها زوجة عازف الكمان المشهور «يعقوب تانيوس» بما ستفعله وهو ضبطه متلبسا بالخيانة، وعليه تنكرت ليلى مراد المطربة المشهورة وارتدت منديلا بأوية وملاية لف وأمرت خضر السائق بأن يأخذها إلى الزمالك في أحد أيام شهر يناير وتحديدا في العاشرة مساء وكان الجو باردا وعاصفا والمطر ينهمر في خلفية درامية بحتة تتناسب مع المشهد الباكي، ووصلت ليلى إلى مدخل العمارة وتقدمت بخطى ثابتة واثقة تدق الباب ويظهر بواب العمارة ويسألها: « عايزة إيه يا ست»، فردت «والنبى يا اخويا تقول لي هو سي أنور الممثل ساكن هنا؟»، فيجيب «وعايزة منه إيه؟» فترد متقمصة الدور ببراعة «أصل أنا يا أخويا الغسالة الجديدة ودايخة على العنوان من ساعتين»، فيجيب بدهشة «هو فيه حد يغسل في وقت زي ده اتكلي على الله وفوتي علينا بكرة»، فترد بتوسل «أنا جاية أتفق معاه على الميعاد وبس مشواري بعيد ينوبك ثواب يا عم الحاج»، فيسلم أمره لله ويقول لها «الأستاذ أنور ساكن في الدور السادس» .

هل يصدق أحد أن هذا الموقف حدث بالفعل، نعم ولكن في رواية غرام أنور وليلى، إنها الدنيا ما هي إلا مسرح كبير على رأي يوسف بك وهبي، المهم صعدت ليلى الدرج حتى وصلت إلى الدور السادس وهي ترتجف وأخذت تفكر فيما يمكن أن يحدث حين تواجهه بالخيانة وجها لوجه، وما كادت أن تمد يدها إلى زر الجرس حتى سمعت ضحكات أنور والفتاة الفرنسية لويسيت فتجمدت يداها وانطلقت تجري لتهبط مرة أخرى حتى وصلت إلى الشارع، وطلبت من مارسيل صديقتها أن تعود إلى بيتها واتجهت هي إلى الجراج أسفل العمارة تنتظر أنور في سيارته الكاديلاك وانتظرت حتى الثالثة صباحا وهي تنتفض من الألم والخديعة والكذب، وفجأة سمعت من بعيد همسات أنور ولويسيت وما أن اقتربا من السيارة حتى تسمر أنور في مكانه غير مصدق فهبطت ليلى من السيارة، وتحدثت إلى لويسيت بالفرنسية وطلبت منهما أن يستقلا السيارة ليعودا إلى البيت فانطلق أنور يسير بالسيارة بلا هدف، وراحت الكاديلاك تطوف شوارع القاهرة وهي تضم اثنين من ألمع نجوم السينما في مصر وعشيقة فرنسية، ونهاية عاصفة، وما أن وصلوا إلى جراج الإيموبيليا حتى التفتت ليلى إلى أنور وسألته إن كان يحب أن يقوم بتوصيل لويسيت بنفسه أم يجعل خضر يقوم بتوصيلها بسيارتها فطلب منها أن يقوم خضر بتوصيلها، فتصافحا ودخلت ليلى منزل الزوجية وأغلقت خلفها الباب وتركت أنور ينتظر بين اللحظة والأخرى بداية الشجار حتى ينفجر فيها معلنا أنها هي السبب ولا أحد غيرها، ولكنها لم تعطه الفرصة ولم تفتح فمها تلك الليلة، وفي هدوء جمعت كل مقتنياتها في عدة حقائب وفي السابعة صباحا كانت قد ارتدت ملابسها

وتوجهت إلى غرفة المكتب حيث يرقد أنور منذ ليلة أمس، وقالت له « أنا ماشية يا أنور، وعلى فكرة أنا مش زعلانة منك بالعكس أنا سعيدة جدا بك»، فتعجب أنور وقال في استياء: «هو فيه واحدة تفرح لما تضبط جوزها عند واحدة تانية؟» فقالت له: «أيوه أصل الناس كانوا دايما بيقولوا لي إنى اتجوزت واحد مالهوش قلب وما يعرفش يحب غير الفلوس، لكن أنا كنت أقول إن لك قلب وتعرف تحب كويس وطلعت أنا صح»، فرد بغضب «معناه إيه الكلام ده؟، أنت فاكرة نفسك مين؟»، فأجابت «ولا فاكرة نفسي حاجة أنا بقول لك بس اللي حاسة بيه أشوف وشك بخير»، وكان هذا هو المشهد الختامي في قصة حب أنور وجدي وليلى مراد حيث وقع الطلاق البائن بالثلاثة في أول أيام شهر رمضان المعظم، وشهد عليه كل من محمد البكار السائق وسيد السفرجي.

ياخاين مالكشي أمان

ذاقت ليلى مراد العذاب ألوانا على يد أنور وجدي، هانت عليه عشرة الأيام الحلوة، أدركت أن هناك استحالة في العيش مع هذا الإنسان كزوج أو كحبيب بعد أن تخلصت من قيود الزوجية وراحت تجرب حظها في سوق الإنتاج بمفردها بالتعاون مع أشقائها مراد وإبراهيم ومنير، فقدمت فيلمها الأول «الحياة الحب»، وباشرت أعمال وتشطيبات عمارتها الجديدة، وانتقلت ليلى للشقة الجديدة بقلب يضيق بالفراغ، كانت تسمع شائعات كثيرة عنه كل فترة فتتألم من الحزن ويقتلها الحنين، وعندما افترسه هو الآخر الحنين عاد من جديد يدق بابها معلنا أسفه وألمه وتوبته وندمه لما وصل إليه الحال، وعرض على بعض الأصدقاء فكرة الاستعانة بمحلل ليعود إلى ليلى زوجا من جديد، فاشترطت ليلى أن يدفع لها كل قرش كسبه من ورائها كما اقترحت فكرة أن تكون العصمة في يدها هي، وتظاهر أنور بقبول كافة الشروط بل وبدأ بالفعل يبحث عن محلل يمكن أن يثق فيه وبرغم كل محاولاته فقدت ليلى الثقة فيه تماما، وشعرت بأن وراء هذه العودة سرا آخر وهو أنه يخشى على الدجاجة التي كانت تبيض له ذهبا، وبالفعل تأكدت أنه يطلق حولها الشائعات؛ كي يضعف موقفها فتوافق على العودة غير المشروطة، وشاءت الأقدار أن تعرف بملاحقات أنور وجدي لشابة جميلة اكتشفها محمد كريم وهي الفنانة ليلى فوزي، وكيف أنه ساعدها لطلب الطلاق من زوجها عزيز عثمان وتحمل هو نفقات ذلك الطلاق بعد أن اقتربا من بعضهما في فيلم «خطف مراتي»، وتمت التسوية وتنازلت ليلى فوزي عن حقها في الأفلام بالإضافة إلى الشقة والمصوغات في 6 يونيو عام 1954 ووقع الطلاق بين ليلى فوزي وعزيز عثمان ليعلن

أنور وجدي خطبته على ليلى فوزي في اليوم التالي.

وكان وقع هذه الخطبة على ليلى مراد كالصاعقة فلم تحتمل خاصة بعد أن تم زواجهما سريعا، وهي التي كانت تعتقد لآخر لحظة أنه لا يمكن أن تحل محلها في قلب أنور وجدي أية امرأة أخرى، ولكن حدث وسافر العروسان إلى باريس لقضاء شهر العسل، وعادا إلى مصر بعد ثلاثة أشهر وأقاما في منزل أنور وجدي في عمارة «ليبون» التي اشتراها خصيصا لعروسه ليلى فوزي بعد أن ترك شقة الإيموبيليا التي عاش فيها من قبل مع زوجته السابقة ليلى مراد، ثم تدهورت صحته فجأة، وبدأ رحلته مع المرض اللعين في أكتوبر عام 1954 وظل طريح الفراش فترة طويلة إلى أن استقر الأمر على ضرورة سفره للعلاج إلى الخارج فسافرت معه عروسه ليلى فوزي لتعود هي بمفردها ويعود أنور وجدي داخل تابوت خشبي يعلن عن رحيله.

مات أنور وجدي في 14 مايو عام 1955، وظل حتى آخر لحظة في حياته يبكي ألم فراق ليلى مراد وظلت هي تبكي حبيب الروح قائلة:

أحلف لك بدمع العين.. ومالكشي على يمين

إن فاتت عليَّ سنين.. هافتكرك ولا هنساك»

لماذا خان أنور وجدي ليلى مراد؟

والسؤال هو لماذا خان أنور وجدي حبيبته ليلى مراد؟ وهل هو خائن بطبعه؟ الإجابة، بالطبع أنه لم يكن أنور وجدي خائنا بطبعه لكن كان تركيبة غريبة من البشر يعشق المتناقضات، يحب المال والشهرة ويتصرف كالمعدمين، اقتنى أجمل زهرة في بستان الفن العربي ولكنه أراد رحيقها له وحده، كان يغار عليها بجنون، ويغار منها بعنف، كان يريدها امرأة خاضعة، فلما رأى شخصيتها القوية أراد أن يثبت لنفسه ولها أنه الأقوى وأن نساء الأرض خضعت له، أراد الانتقام من ليلى التي أحبها فانتقم من نفسه ودمر حبا عظيما.

من يرحم المظلوم؟

« مين يرحم المظلوم ويحاسب الظالم، مين ينصف المحكوم من قوة الحاكم، ياما قلوب عايشة في قصور وبيحسدوا أصحابها عليها، وكل يوم بتعيش وتموت ولا حد حاسس بيها».

ترنيمة روحية كانت تتعزى بها ليلى مراد فتطبطب على قلبها لتداوي جرحها من تلك الأضرار البالغة التي تعرضت لها إثر زواجها من أنور وجدي لمدة ثماني سنوات، تعبت كثيرا وبكت وتألمت إلى أن نجحت في أن تخرجه من حياته وقلبها إلى الأبد، فحاولت أن تنسى السنوات التي قضتها زوجة له، وفي البداية لم تستطع، ولكنها تحاملت على نفسها وتجاوزت الأزمة، وبدأت بالفعل تفكر من جديد في مواصلة نشاطها السينمائي، وفي ذلك الوقت كانت قد قامت ثورة يوليو وصار عمرها عامين، وكان الفن يحمل جانبا مضيئا في الإعلان عنها ونظمت إدارة الشئون العامة للقوات المسلحة العديد من الأنشطة التي ساهم الفنانون بقدر وافر فيها وأهمها قطار الرحمة وجمع التبرعات للتسليح وغيرها، وتطورت الأمور فجاءت شركات تمتلكها مؤسسات الدولة تعمل في الأنشطة الفنية مثل السينما وجمعت الصدفة وحدها بين المطربة والنجمة السينمائية ليلى مراد وأحد قادة هذه المؤسسات. كان قائدًا للكتائب الفدائية التي كافحت ضد الاحتلال الإنجليزي في منطقة القناة قبل الجلاء عن مصر ثم عين بعدها محافظا للبحيرة والقاهرة ثم ترك العمل الدبلوماسي ضمن حركة إلغاء مراكز القوى في مايو عام 1971 ودخل مجال العمل الخاص واستطاع أن يحصل على توكيل إحدى الشركات الفرنسية لصناعة السيارات، هذا الرجل كان له دوره كواحد من ضباط الثورة لم تعجبه الشائعات التي كان يطلقها أنور وجدي ضد ليلى مراد والتي أدت في وقت من الأوقات إلى منع تداول وإذاعة أغانيها في سوريا؛ مما ترتب عليه تدخل قائد الجناح وجيه أباظة الذي سعى لدى المسئولين في سوريا عن طريق ملحقنا العسكري هناك جمال حماد المؤرخ العسكري وقتها للإفراج عن الأغاني والأفلام، وبدأ التقارب يحدث بينهما وكان ينتمي إلى أسرة كبيرة في إحدى محافظات الوجه البحري، كان منها أقطاب في السياسة والأدب والفن قبل الثورة، وكان منها وزراء ومحافظون بارزون في أجيال السياسة المصرية، وحاول هو جاهدا بذل أقصى ما في وسعه لإخراج ليلى مراد من حزنها ومن كل ما يحيط بها من قسوة ونكران جميل، تعاطف معها تماما، وبدأ يشجعها على الخروج من الدائرة الضيقة التي صنعها أنور بقسوته والشائعات التي انحصرت فيها لسنوات طوال، وبدأت تخرج إلى الحياة من جديد وفكرت بالفعل في انتاج فيلم سينمائي، وساعدها الرجل الذي كان يرأس في ذلك الوقت شركة انضمت إلى مؤسسة استوديو مصر بإنتاجها وتوزيعها، وأشركت ليلى مراد شقيقها إبراهيم الذي كان قد أتقن العمل واكتسب خبرة من واقع جواره لأنور وجدي في الإنتاج والتوزيع السينمائي، فكون لنفسه بعد عدة سنوات شركة إنتاج حملت اسمه وأنتج عددا من الأفلام الجديدة، المهم أن ليلى مراد دخلت مجال الإنتاج السينمائي

بفيلم حمل اسم « الحياة الحب» أخرجه المخرج سيف الدين شوكت، وشاركها البطولة الفنان يحيى شاهين، وزادت درجة التعاطف والتقارب بين المسئول وليلى مراد حتى تحول إلى قصة حب قوية فرضت نفسها على الاثنين لدرجة أنها قبلت أن تعيش بجوار الرجل الذي أحبته، وقبلت أن تكون زوجة بعيدة عن الأنظار من فرط حبها له وسعادتها به، فقد كانت تشعر بنفس السعادة التي عاشتها في أيام حبها للدبلوماسي الشاب الذي لم تستطع الزواج منه بسبب أعبائها العائلية، وكانت قصة حبها الجديدة أكثر تعقلا واتزانا وفاعلية، وكان الرجل برغم مشاغله وعمله مع رجال الثورة يعطيها الحب والحنان فساعدها على تحمل كونها زوجة بعيدة عن الأنظار.

سألت عليه قالوا مسافر

ورغم الطمأنينة والثقة في المستقبل الجديد كانت أسفار الرجل وابتعاده عنها أياما وشهورا يؤلمها كثيرا فتُغني له:

«ولما قالوا لي ده سافر وهيغيب سنة واثنين، ساعتها القلب بأه حاير يروح له منين ويجي منين» . بالفعل قضت أياما حائرة لا تعرف إلى أين تذهب ومن تسأل، وإذا خضعت لدائرة استجواب فماذا ستقول؟ وهل تقول إنها تطمئن على زوجها، وماذا لو علمت عائلته العريقة فهل ستقبل الوضع؟ فربما يتطور الأمر ويفقد هو صلة الرحم ويخاصم أسرته وتكون هي السبب الرئيس للفرقة؟ وهذه التوجسات كانت تدور داخلها خاصة بعد أن ترك في أحشائها جنينًا كان هو ثمرة الزواج السري الذي ربط بينها وبين الرجل، ومرت شهور الحمل وهي في قلق دائم على مصيرها، ومصير ابنها وحبيبها وزوجها، كانت الظروف تقف في وجههما: ظروف عمله وأعباؤه كرجل مسئول من مسئولي الثورة، وظروف وضعه بين أفراد عائلته الكبيرة والمشهورة والتي حتمت عليه أن يبتعد نهائيا معلنا نهاية قصة حبه وزواجه من ليلى مراد.

ومن جديد تعود ليلى لأحزانها بعد أن وجدت نفسها وسط عاصفة هوجاء تبدو أعنف من كل العواصف التي عاشتها مع المرحوم أنور وجدي، فبدأت التحذيرات العديدة تنهال عليها من كل جانب بأن تصمت ولا تنطق بكلمة وتخفي خبر زواجها، وفضلت ليلى لذلك أن تنحسر وتتقوقع بعيدة كل البعد عن كل ما في الحياة الفنية من نشاطات، ولم يعوضها عن هذا كله سوى إنجابها لأول مرة أشرف أباظة الابن البكر لليلى مراد وثمرة الحب الأسطوري الخفي.

من بعيد يا حبيبى بسلم

ومرة أخرى كالعادة تكالبت عليها كل الظروف السيئة التي كانت أقسى بكثير من كل ما مر بها من أيام العوز والحاجة قبل أن تشتهر كمطربة وتنجح كنجمة سينمائية، هذه الأيام الشتوية الممطرة كانت أكثر بردا وظلاما وحرمانا من تلك التي قضتها مع أنور وجدي، فمنذ اللحظة الأولى تحملت عبء التضحية وتحمل ابنها الوحيد أكثر مما يجب أن يتحمله طفل وليد، يخرج إلى الحياة فلا يجد والده بجواره ويظل يسأل فترد ليلى بابا مسافر وسيغيب عاما أو عامين، فيسكت ثم يعاود السؤال سريعا، حتى غابت عن ليلى ابتسامتها الساحرة ودب إليها الهزال وخيم الحزن والشرود على كل ملامحها، وبدأت تعتل صحيا وتصاب بالوهن وعدم الرغبة في مواصلة الحياة، فقد كتب عليها أن تظل جريحة القلب عليلة الروح، تحب فتحرم وتخلص فتخان وتعطي فتجف، ظلت شخصية غادة الكاميليا ملتصقة بها ليل نهار ولا سبيل إلا التضحية، ولا ملجأ سوى الفرار ولا حيلة إلا البدء من جديد، وقدر لها أن ترى الحبيب ولا تملك إلا أن تسلم عليه من بعيد دون أن تتكلم، علمتها الأيام أن تصبر وتداري لوعتها فتعلمت الدرس وغنت:

« من بعيد يا حبيب بسلم.. من بعيد من غير ما أتكلم، علموني أسهر وأداري لوعتي وأديني بتعلم، اشتكي وأنت بعيد عني وأنكرك وأنت قريب مني» .

وهذا أقصى وأعنف من أن يتحمله بشر، وهذه المرة لم تنجح في تحمله كما تحملت الكثير من قبل، فقد تعبت الروح وزادت الجروح، وذاب القلب من لوعة الحب فتمرد الجسم وتعطلت الوظائف والأعضاء من طوفان الهم والأعباء، ودخلت ليلى مراد المستشفى وخضعت لعلاج دقيق، وباءت كل محاولات العلاج بالفشل، واستمر تدهورها الصحي حتى أصبحت حياتها في خطر، وأصبح كل من حولها يدعو الله لتدب في عينيها الروح من جديد، واستجابت السماء للدعوات وانفجرت الأزمة بمعجزة في الوقت الذي تلاشى فيه الأمل، سمع الزوج والحبيب أن ليلى تحتضر من الألم والحزن، فألهم الله الرجل أن يتصرف بنبل ضاربا كل شيء عرض الحائط، فأرسل من يزورها وبعث يستقدم إليه ابنه أشرف واتخذ قرارا بالاعتراف به وإعلان بنوته وبسط عليه جناح أبوته مما أسعد قلب ليلى وجعلها تتماثل للشفاء بسرعة ويبتعد عنها المرض واليأس.

يا للا تعالى أوام يا للا

أنهكت الحياة ليلى مراد بمشاكلها وأزماتها.. أنهكتها الأضواء، وكأن نهر البريق قد انقطع فجأة، كانت تريد الهدوء فإذا بالحياة عاصفة، كانت تريد الاستقرار فإذا بالأحوال متقلبة، تمنت الأمومة ولم تسعد بها، ذاقت المجد والطعم علقم.

وها هو القدر يأتي ليتصالح معها من جديد وينسج قصة حب جديدة وقصة زواج ثالث نعمت فيه بالسعادة الغامرة مع المخرج فطين عبدالوهاب.

وفطين عبدالوهاب هو أصغر ثلاثة أشقاء عملوا في السينما وهو سراج منير وحسن عبدالوهاب ثم فطين الذي كان ضابطا بالجيش ثم عمل مساعدا للمخرج أحمد سالم، وفي أول أفلامه عام 1942 باسم «نادية» عن حرب فلسطين، وتوالت أفلامه وقد غلب عليها الطابع الكوميدي، وتزوج عدة مرات ومن أشهر زوجاته الراقصة هاجر حمدي.

بدأت قصة حب من طرف فطين وحده، وعاشت وكبرت وترعرعت داخله منذ أن التقى بها لأول مرة أثناء عملها كبطلة في فيلم «الماضي المجهول» لأحمد سالم، أحبها بعنف وكتم مشاعره تجاهها، ولم يقو على الإفصاح عن هذا الحب في ذلك الوقت؛ لأنها كانت زوجة لأنور وجدي، ثم في أواخر عام 1954 التقى فطين بليلى مرة أخرى في شركة أفلام الكواكب التي تمتلك ليلى نصيبا فيها فاقتربا من جديد وعاد الحب يدق قلبه؛ لما لمسه من عذوبة ورقة كانت ليلى تتمتع بهما.

وفي ذلك الوقت كان الأصدقاء يحيطون بليلى من كل جانب ويحاولون قدر الإمكان إخراجها من الحالة المرضية التي عانت منها بعد خروجها من المستشفى، وبدءوا جميعا يحرصون على دعوتها إلى بيوتهم في مناسبات عديدة، ومن الذين كانوا يصرون دائما على حضورها بصفة منتظمة عزيزة حلمي الممثلة وزوجها الفنان علي الزرقاني وسعيد أبو بكر وهدى سلطان وفريد شوقي ومحمد عبدالوهاب بالطبع، وكانت ليلى تلك الفترة قد اشترت قطعة أرض في جاردن سيتي وشرعت في بناء عمارة سكنية رأت أنها الاستثمار الأمثل لأموالها، وإلى أن تنتهي من تشطيب العمارة كانت تقيم مع الأسرة في الجيزة، وكان علي الزرقاني وزوجته يرتبطان بعلاقة صداقة حميمة بالمخرجين حلمي حليم وكمال الشيخ وفطين عبدالوهاب، وقد اعتادت في هذه الفترة قضاء بعض الوقت في بيت علي وعزيزة والجلوس مع هؤلاء وكان فطين عبدالوهاب هو الأعزب الوحيد في المجموعة، وكان يعيش بمفرده في شقة بقصر النيل، وكان قد استغرق الوقت في العمل، ولم يجد الوقت للعناية بنفسه أو بيته وعلى الرغم من أن هذه الفترة كانت تمثل أوج تألقه منذ أن شق طريقه كمخرج وقدم سلسلة أفلامه الكوميدية مع إسماعيل ياسين والتي حققت النجاح والشهرة

بكل مقاييسها ورفعه هذا النجاح المتواصل إلى صف مخرجي السينما المصرية العظام إلا أن حياته كأعزب كانت تقلق المجموعة كلها وكل من يحيطون به من أصدقاء وفي نفس المجموعة التي كانت تحيط ليلى مراد بالعناية والرعاية المعنوية، وبالرغم من النهاية السعيدة للمشكلة الاجتماعية التي تعرضت لها بزواجها من ضابط الثورة المعروف لمدة عامين إلا أن ليلى خرجت من هذه التجربة عازفة عن الحياة مكتفية بأن تعيش لابنها أشرف، وامتد هذا العزوف إلى نشاطها الفني فابتعدت عن السينما بعد فيلمها الأخير «الحياة الحب»، فما كان من الأصدقاء المقربين من الطرفين إلا الشروع في تنفيذ خطة للجمع بين ليلى وفطين معا بعد أن عانى الاثنان أشد المعاناة، فكلاهما تزوج مرتين وفشل فكانا يبحثان عن الاستقرار والهدوء والسعادة.

الحب ده قسمة عشنا وتُلناها

«الحب كان ليهم فين جالهم في غمضة عين صاب قلبهم الاثنين لا عرفوا فراق ولا فرق بين قلبين»

والجدير بالذكر أن الممثل سعيد أبو بكر والممثلة عزيزة حلمي كلاهما لعب دور الوساطة بين الاثنين فذهب سعيد إلى فطين، وكلمه بشكل مباشر بعد أن شعرا بأن فطين يميل إلى ليلى لكنه متردد، وبدأ سعيد أبو بكر بسؤال فطين: «إيه رأيك في ليلى مراد؟ مش بذمتك بنت حلال مصفي وأنت ميال لها ده شيء واضح جدا للجميع»، فرد فطين قائلا: «إن ليلى إنسانة مثالية وأنا معجب بها من زمان ولكن التجارب اللي عاشتها والعذابات التي صادفتها تمنعني من مجرد عرض فكرة الزواج عليها، جايز جدا ترفض وتكتفي بهذا القدر من الألم»، فعاد سعيد أبو بكر يقول: «سيب الموضوع ده عليَّ وعلى عزيزة أنا هجس النبض وأتكل على الله وعايزين نفرح بيكو»، وعلى الفور أجرت عزيزة حلمي اتصالا هاتفيا بليلى دعتها فيه لتناول فنجان شاي، وفاتحتها في الموضوع بشكل مباشر: «اسمعي يا ليلى فطين عبدالوهاب معجب بيكي وبيحترمك ويقدرك جدا وأنا شايفة إنه زوج مثالي وسمعته زي الفل وما عندوش حظ زيك تمام إيه رأيك تجمعي حظك مع حظه في دنيا جديدة سعيدة مستقرة» فجاء رد ليلى بالموافقة مبدئيا من حيث الفكرة مع مراعاة منحها الفرصة للاقتراب من فطين الإنسان بعيدا عن كونه مخرجا.

ومن الواضح أن ليلى مراد كانت تشعر بميل فطين تجاهها وتبادله نفس الميل ولكن بحرص وحذر، فمن البداية وافقت عليه ولكنها أرادت أن تتمنع قليلا حتى تجمع أكبر قدر

من المعلومات عنه؛ لأنها لاتريد أن تفشل في الزواج للمرة الثالثة، وهكذا التقى النهران بكل عذاباتهما وآلامهما كل منهما يبحث عن مرفأ يستقر فيه بعد سلسلة من الفشل في الحياة الزوجية، وخلال الأيام الثلاثة التي سبقت عقد القران ساعد أصدقاء الطرفين فطين على إنهاء كافة الإجراءات المطلوبة للعمل، وقام صلاح أبو سيف بالإشراف على عملية المونتاج الذي كان يشرف عليها فطين في فيلم «نهارك سعيد» الذي كان موعد عرضه قد اقترب، وقام كامل التلمسانى بإنهاء كافة مايتطلبه الزواج، وقام حلمي إبراهيم بتوجيه الدعوة إلى الأصدقاء، وعقد القران في 21 ديسمبر عام 1954 وكان الشهود هم الأستاذ رفيق الترزي وسراج منير شقيق فطين وقدم فطين لعروسه مهرا قدره 25 قرشا ذهبا، وكان المؤخر ألف جنيه، واستمر هذا الزواج لمدة 11 سنة حاولت فيها ليلى أن تجمع بين حياتها الخاصة كأم وحياتها العملية كفنانة لا تزال الأضواء تسطع عليها، واحتجبت قليلاً حتى أنجبت ابنها الثاني زكي، لكنها حاولت أن تثبت لنفسها وللجماهير أنها لا تزال النجمة المحبوبة فقررت التمثيل مرة أخرى بعد أن أنقصت وزنها 15 كيلو جراما عقب إنجابها طفلها زكي حتى تظهر في رشاقة فتاة محبة، كما عودت جمهورها العريض، فقدمت أمام حسين صدقي فيلم «الحبيب المجهول»، لكن الفيلم لم يأخذ نفس خط أفلامها القديمة من النجاح، وبدت فيه أكبر سنا وحجما من الدور الذي تقوم به، وهو دور فتاة في العشرينات تقع في غرام طبيبها الذي بدا هو الآخر أكبر سنا من دور الحبيب، وقد هاجم النقاد الفيلم، وقالوا عنه إنه أقل من المستوى الذي قدمه حسين صدقي وليلى مراد من قبل، وهنا أدركت ليلى أنها لم تعد سندريلا الشاشة، فقد مر الزمن على تفاصيل وجهها وحنجرتها بلا رحمة، وكان عليها أن تعيد ترتيب الأوراق فقررت الانسحاب من عالم الفن ونفذت قرارها بالانسحاب بهدوء.

ولأن الأضواء ببريقها اللامع تشغل الفنان وتقيه شر الإصابة بالفراغ فكان انحسار الضوء عنها مع انشغال فطين عبدالوهاب بأعماله سببا في تعاستها وشعورها بالوحدة أياما طوالا قضتها لا تفعل شيئا بعد أن ينام الصغار أو يذهبون إلى مدارسهم، افترسها الفراغ وأكلتها الوحدة، وباتت تقضي الأيام بمفردها، والانتظار صديقها اللدود وأصبح الشجار على أتفه الأسباب وبلا مبرر. وقال البعض إن أسباب الخلاف بدأت حين باعت ليلى مراد عمارتها في جاردن سيتي، وقررت أن تترك شقتها التي بنتها خصيصا فوق هذه العمارة لتنتقل إلى شقة جديدة استأجرها فطين عبدالوهاب باسمه في جاردن سيتي أيضا، ورغم أن عقد الإيجار كان مكتوبا باسم فطين إلا أنه فوجئ بها تطالبه بأن يغير عقد الإيجار باسمها؛ لأنها على حد مبررها تشعر بأنها غريبة في مكان لايحمل اسمها، ونزل فطين على رغبتها إرضاءً

لها وطلب من المالك تغيير عقد الإيجار ومضت أسابيع وأقامت ليلى حفلا كبيرا بمنزلها الجديد بمناسبة الكريسماس، ولاحظ المدعوون أن اليافطة الموضوعة على باب الشقة باسم فطين قد رفعت ووضعت محلها يافطة أخرى باسم ليلى مراد، ولم يحضر فطين هذا الحفل ففهم الأصدقاء أن في الجو غيوما وأن شبح الطلاق يطل بقسوة على الحياة الزوجية التي استمرت أعواما هادئة مستقرة، إضافة إلى أنه قبل أن يترك فطين منزل الزوجية ليؤجر شقة مفروشة يسكن فيها انفجر أول خلاف بينهما بسبب الشائعات التي حامت حول فطين وارتباطه بإحدى المطربات بقصة غرامية فانفعل فطين من وشاية الواشين الذين يدركون جيدا أنه يحب ليلى ويخلص لها، وأن مجرد طرح فكرة الخيانة أمر غير وارد وأيضا سببت هذه الشائعة عقدة لليلى مراد من واقع تعرضها من قبل للخديعة على يد أنور وجدي، ومن هنا خاصمت المنطق وصدقت الشائعات، وأصرت على السفر فرفض فطين فطلبت ليلى الطلاق، وفشلت كل المحاولات التي بذلها الأصدقاء واشترك فيها كل من زينب صدقي وفريد شوقي وهدى سلطان كما حاول الأستاذ لبيب معوض محامي ليلى أن يمنع حدوث الطلاق ولكن أمام إصرار ليلى وعنادها تم الطلاق وتنازلت هي عن مؤخر الصداق ونفقتها كزوجة على أن يلتزم فطين بدفع نفقة شهرية لابنه زكي الذي كان قد بلغ 21 سنة. وإثر إتمام الطلاق الذي أصر عليه فطين بعد أن شعر بأنها لا تريد الحياة معه ولا يمكن أن يفرض نفسه عليها غادر مكتب المحامي إلى مكتب طبيبه المعالج الذي نصحه بالحصول على قسط من الراحة بعد أن شعر ببوادر أزمة قلبية، وذهب زكي إلى أبيه وقضى معه يومين وتم الاتفاق على أن يقضي زكي الإجازات الدراسية مع والده ورضخت ليلى مراد - كالعادة - للأمر الواقع ولعبة الأيام وهي مستسلمة تماما وتُغني من قلبها ما يصف حالتها تجاه فطين الزوج الثالث.

«ماليش أمل في الدنيا غير إني أشوفك متهني حتى إن لقيت إن بعادي راح يسعدك ابعد عني أما أنا مهما جرى هافضل أصون عهد الهوى وإن غبت يوم ولّا سنة هافضل أنا برضه أنا» .

احب اثنين سوا ياهنايا